بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان

تَعامُل الإمام القَرَضاوي مع القرآنِ بالقرآن
دِراسةٌ منهجيةٌ في النَّظريةِ والتَّطبيق

إعداد الدكتور/

عبد الواسع عبده هِزَبْر خالد المِخْلافي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جـــامعـــة تعـــز – اليـمـن

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

مقدمة البحث :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبدينه الإسلام يستقيم منهج الحياة، وبفضله ومنِّه يصلح الأمر كله في الدين والدنيا والآخرة، وأصلي وأسلم على خاتم المرسلين وأول البشر الناطقين بالقرآن وإمام المفسرين وأشرفهم على الإطلاق، سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ الصادق الأمين. **أما بعد:**

فإن القرآن الكريم يظل النبع الصافي الذي ترتوي من فيضه أفئدة العلماء فتزرع حتى يستوي زرعها على سوقه، وتهفو إليه النفوس الخائفة من المصير الآني والأبدي فتطمئن، وتأوي إليه العقول الحائرة في كل زمان ومكان فتستنير، وحاجة الأمة الإنسانية إليه لتحي حاجتها إلى الهواء والماء والطعام، بل هي أعظم، وكلما طال الزمن بنا وامتد، واتسعت الأمة وتشعبت، كلما كان اللجوء إليه أوجب، لذلك فنحن اليوم نعيش بين الحاجة الضرورية إلي معرفة أحكامه وحِكَمه، وتفسيره وتأويله، وخصائصه ومقاصده وهدايته، وبين الحتمية الواقعية المُلِحة إلى المنهجية العلمية المنشودة التي تتكفل بتحقيق ذلك.

واليوم، وفي هذا المنعطف التاريخي الفاصل في حياة هذه الأمة وفي لحظتها المعاصرة الحاسمة، تبرز حاجتنا أكبر فأكبر إلى علماء راسخين في العلم، ومفكرين مجتهدين، يجددون لنا معالم ومفاخر حضارة أمتنا الإسلامية، ويُعلنون فينا وفي عالمنا المادي والمعنوي هويتنا القرآنية الربانية، والأستاذ الدكتور الإمام يوسف القرضاوي يُعدُّ أحد أهم الأعلام المعاصرين، وعلى رأس الأئمة العظام القرآنيين، ومن أكبر العلامات البارزة على طريق التطور الفكري للأمة الإسلامية.

فقد وليت وجهي شطر المكتبات الناشرة لكتبه، فألفيت فيها العشرات بعد المائة، وكلها كتب قيمة، فاقتنيت كبيرها وصغيرها، وقرأتها بإمعان نظر، لأكتشف السِّر الذي ارتقى به إلى تلك القمة السامقة، والمَصافِّ العلمي المتميِّز الفريد، حتى تبين لي أن أهم الأبعاد العلمية والمنهجية التي تجسد شخصية هذا العالم الجليل في الأمة الإسلامية هو رحلته الرائدة مع القرآن الكريم وعلومه والعيش الدائم في رحابه، وجهوده التكاملية في الجمع بين حفظ القرآن وتلاوته واستماعه، وفهمه وتفسيره، وبيان خصائصه ومقاصده وهدايته، واتباعه والعمل به والدعوة إليه والدفاع المستمر عنه، بل والتضحية في سبيله. ومحاولاته الجادة في صياغة أصول التعامل مع القرآن العظيم، وصولاً منه إلى المنهج الأمثل للقيام بالعمليات التفسيرية الصحيحة اللازمة لكتاب الله تعالى. وإسهامه المتميز في الشرح النظري والتطبيق العملي لكيفية التعامل الحقيقي والمباشر مع

الآيات والموضوعات والقضايا القرآنية، من أجل الاستنطاق الصحيح لمدلولاتها، بل والاستنباط العميق لهداية وأهداف هذا الكتاب العزيز جملة وتفصيلا.

فكل فلسفته في الحياة بعامة، وفي نتاجه العلمي بخاصة أن: " القرآن كتاب الله الخالد، ودستور الإسلام الجامع، وآية الرسول العظمى، ومعجزته الباقية الكبرى. وهو مصدر الإسلام الأول، عقيدة، وشريعة، وأخلاقًا وآدابًا، أودعه الله من كنوز المعرفة، وأسرار الحق، وأصول العدل، ومناهج الخير، وضوابط السلوك، وقواعد الهداية والتشريع، .. لهذا يجب أن تُستَمد من معينه فلسفة الحياة، ونظام الحياة، فلا يصح الاعتقاد، ويقبل التعبد، وتطهر الأخلاق، وتزك الأنفس، وتستقيم الأفكار، وينتظم التعامل، ويتحقق العدل، ويسعد الفرد، ويرقى المجتمع، إلا إذا بُني ذلك كُلُّه على أساس من هداية القرآن" [(١)].

لذلك نجده يُولِي قضية النص القرآني ومعناه الصدارة في مؤلفاته ودراساته كلها، فلا يخلو كتاب من كتبه، بل صفحة من صفحاتها من إشارة أو عبارة أو استنباط إلا وتحدث فيها عن القرآن الكريم مفسرًا له، أو مستدلاً به، أو مشيرًا إليه، فضلاً عن أنه قد خصص بعض دراساته هذه للتفسير وعلوم القرآن، وقضايا علومه ومناهجه وأصوله؛ لأن القرآن الكريم يُعدُّ المصدرُ والمستمدُّ الأول في التوجيه والتشريع في حياته الدينية والشخصية والعلمية " فلم أزل ولله الحمد والمنة – منذ فجر شبابي، منذ هيأ لي الله سبحانه أن أرقى المنبر لأخطب، أو أمسك بالقلم لأكتب، أعتبر القرآن الكريم هو مصدري الأول، ومعتمدي الأساسي، أستمد منه الهداية والتسديد في كل محاضراتي وخطبي، وعامة مؤلفاتي وكتبي. ساعدني على ذلك حفظي المبكر للقرآن، وأنا دون العاشرة، واستحضاري لآياته بيسر، كلما احتجت إلى الاستشهاد بها في مختلف المعاني وشتى الموضوعات " [(٢)]، " فأنا ابن القرآن وربيبه منذ أتممت حفظه وتجويده وأنا دون العاشرة " [(٣)].

وإذا كانت كتاباته وتآليفه قد جاءت كلها تحمل الكثيرَ الكثير من القرآن الكريم، بل القرآن هو محورها وأساسها الأول، فلا عجب إذن أن تمطرنا هذه الكتب بالغزير من الآيات والشواهد القرآنية، ويتبعها السيل المتدفق من المعاني والتفسير والاستدلال والاستنباط.

وإسهامًا منا في إبراز كيف تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن الكريم؛ فإننا في هذا البحث نحاول التعرف على منهجية تعامله مع القرآن بالقرآن، بمعنى آخر نقوم باستقراء وتتبع الكيفية المنهجية – الإجمالية والتفصيلية – التي تعامل بها في الشرح النظري والتطبيق العملي أثناء قيامه بالعملية التفسيرية القرآنية القرآنية، كي نقف على مختلف أساليب وطرق المفسِّر، ومحدِّدات ووسائل تحقيق تلك المنهجية، وذلك تحت عنوان حددناه، وهو: **(تَعامُل الإمام القَرَضاوي مع القرآنِ بالقرآن – دراسةٌ منهجيةٌ في النَّظريةِ والتَّطبيق)** .

---

(١) **الصبر في القرآن الكريم**، يوسف القرضاوي، ص٥، من المقدمة.

(٢) **العقل والعلم في القرآن الكريم**، يوسف القرضاوي، ص٧.

(٣) **دروس في التفسير– تفسير سورة الرعد**، يوسف القرضاوي، ص١٠.

خطة البحث الإجمالية :

فإن طبيعة هذا البحث اقتضت أن يتكون من مقدمة عامة، وموضوعٍ يتكون من ثلاثة فصول، وخاتمة. فالمقدمة لأهمية البحث وللاعتبارات التي حملتني على اختياره، ولرسم خطته جملة، ونطاقه الموضوعي.وقد جعلت الفصل الأول لبيان: **اهتمامه النظري بمنهج التعامل مع القرآن بالقرآن**، وخصصت الفصل الثاني لبيان **: تعامله مع القرآن بالقرآن بأساليب وطرق عدَّة**، وتحدثت في الفصل الثالث عن: **تعامله مع القرآن بالقرآن بالاعتماد على بعض قضايا علومه**، وقد تضمنت هذه الفصول ثمانية مباحث، وجاءت الخاتمة لبيان الخلاصة وأهم النتائج.

منهجية البحث ونطاقه الموضوعي :

أولاً: البحث دراسة منهجية لكيفية التعامل المنهجي للإمام القرضاوي مع النص القرآني في ضوء القرآن الكريم نفسه، وذلك من خلال نتاجه العلمي، وقد سلكت في تحقيق البحث الجمع بين منهج التقصي والاستقراء لكل ما هو مطلوب في البحث وفروعه،من الأمثلة والشواهد التفسيرية النظرية والتطبيقية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ومستخدمًا في الكتابة وصياغة المادة العلمية المنهج الوصفي تارة، والتحليلي تارة أخرى، مع صياغة العبارة بأسلوب علمي أدبي وبلغة عربية حديثة، مع التعقيب والتعليق على ما يلزم والمقارنة بين تنظيره التفسيري وتطبيقه لذلك.

ثانيًا: قمت بدراسة المادة العلمية المكوَّنة من الأمثلة والشواهد التفسيرية دراسة متأنية، وأمعنت النظر فيها كثيرًا حتى إذا ما استوت وبدا لي فيها تعامل القرضاوي مع القرآن واضحًا كل الوضوح، وتقرر لدي منهجه التفصيلي أو التجزيئي فيها عمدت إلى تقرير هذه الخلاصة المنهجية بصورة حقائق أو فرضيات مثبتة سابقًا، فجعلتها رأس الفقرة ثم أثبتها بالأمثلة والشواهد التفسيرية، وشرحت أمثلتها عند اللزوم إما فرديًا وإما جماعيًا، أو اكتفيت بالتمهيد لها، أو بالتعقيب عليها، وهو ما سارت عليه منهجية البحث في الفقرات المنهجية المفصَّلة من أوله إلى آخره.

الفصل الأول

اهتمامه النظري بمنهج التعامل مع القرآن بالقرآن

يختص هذا الفصل بتناول اهتمام الإمام القرضاوي بمنهج التعامل مع القرآن بالقرآن في جانبه النظري، وقد جمعنا في هذا التناول بين الدراسة النظرية، وضرب الأمثلة التوضيحية التوجيهية التي جاء ذكرها في المقدمات التفسيرية للمفسِّر، والفصل يتكوَّن من مبحثين، وهما:

المبحث الأول

أهمية التعامل مع للقرآن بالقرآن

يعتمد المفسرون على عدَة طرق أو مناهج في التعامل مع القرآن الكريم، ومنها ما نحـــن بصدده هنا، وهو ما أستطيع تسميته بالمنهج القرآني، وأعني به ما اصطلح عليه علماء التفـــسير وعلوم القرآن بتفسير القرآن بالقرآن.

ويظهر لنا من خلال الدراسة في هذا المجال أن منهج تفسير القرآن بالقرآن هو الذي يقوم على مقابلة الآيات القرآنية بالآيات القرآنية الأخرى، وجمع الأشباه والنظائر منها، ومقارنة الوجوه المتقاربة فيها، وصولاً إلى توجيه معانيها وتفسير بعضها ببعض ، بحيث تتم مجابهة الآية بالآية، والنص بالنص، ليستدل على هذه بتلك، ويُستخرج بهذه العملية المعنى القرآني مـــن اللفظـــة، أو الجملة،أو الآية،أو الآيات، فيُرجَع إلى المبيّن في تفسير المجمل، وإلى العام في بيان الخاص، وإلى المطلق في تحديد المقيد، وإلى الواضح في استجلاء المبهم، وإلى المفصّل المسهب فـــي تعريـــف الموجز المقتضب، وإلى المستدرك بعد الاستثناء، وإلى المحكم في تعيين المتشابه، وإلى الـــسياق الذي جاءت فيه الآية، أو الجملة، أو اللفظة، أو الفقرة في إظهار واختيار المراد، وإلى الاستقراء في تتبع الألفاظ والمعاني للموضوع القرآني الواحد ، فيفضي هذا المنهج إلى مراد الله تعالى مـــن قرآنه الكريم بما جاء في القرآن الكريم نفسه بقدر الطاقة والمكانة التفسيرية الاجتهادية للمفسِّر.

وبناءً على هذه المكونات القرآنية الأساسية للمنهج القرآني في التفسير فإننا – بحق – نقف أمام أقوى المعالم التفسيرية، وأهم الضوابط المنهجية، وأوثق المصادر المرجعية في مناهج التعامل مع القرآن الكريم على الإطلاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– في هذا المنهج: " إنّ أصح الطرق في ذلـــك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجملَ في مكانٍ فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكانٍ بسط في موضع آخر" [١]. وقال الإمام الشاطبي– رحمه الله– في هذا المعنى عن القرآن بأنه: " يتوقف فهم بعضه على بعض بوجهٍ ما؛ وذلك أنه يُبين بعضه بعضاً، حتى إن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى... فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار"[٢].

وجاء رائد المفسرين بالمأثور، ابن كثير– رحمه الله– واعتمد على هذا الجانـــب اعتمـــاداً كبيراً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بل إنه جعل هذا المنهج القرآني هو أولى ما يُفسّر بـــه القـــرآن الكريم حيث قال: " وتفسير الآية بالآية أولى" [٣].

---

(١) **دقائق التفسير**، ابن تيمية، المقدمات:١/١١٠، وراجع: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، المقدمة:١/٤.

(٢) **الموافقات في أصول الشريعة**، الشاطبي: ٣/٤٢٠.

(٣) **تفسير القرآن العظيم** ، ابن كثير :٢/٥٥١.

وإذا كان هذا التعامل مع القرآن يحتل أعلى المراتب التفسيرية المتّبعة، فإن هذا الحكم ليس على إطلاقه، وإنما ذلك التميُّز مرهونٌ بالتأهل العلمي عند الشخصيةِ المفسِّرة، وشريطة صحة الاستدلال، وإنزال هذا الاستدلال منازله ومواضعه القرآنية، وحسن الجمع بين الآيات وأشباهها ونظائرها القرآنية، في ضوء المقدرة على دقة ضبط المناسبة بين الآيات المعنية، وبيان العلاقة بين تفسير النصوص القرآنية بعضها البعض.

كل ذلك يلزم توافره عند المفسرِّ للقرآن بالقرآن، على وجهٍ يفيد المعنى، ويحقق الهدف المراد من التفسير ، وعند ذلك – فقط – يصير التفسير بالقرآن أفضل أنواع التفسير ، وأمثل المناهج، وأولاها بالتعامل مع كتاب الله تعالى.

ذلك لأن التعامل القرآنيِّ القرآني في الظاهر هو عملية نقلية لكنه قبل ذلك هو عملية عقلية ما لم يرد في المسألة التفسيرية أثرٌ صحيح، فإذا ورد ذلك كان من التفسير المنقول، وإلا ظل من اجتهاد المفسر، وأعماله العقلية، ورؤيته الذاتية، ولقد كان العلاَّمة محمد حسين الذهبي حكيماً عندما قال في منهج تفسير القرآن بالقرآن " إنما هو أمرٌ يعرفه أهل العلم والنظر خاصَّة "[1]. قال ذلك في إشارة منه إلى أن هذه العملية تقوم في كثير من الأحيان على أساس العقل والتدبر ليس إلا.

ولما جاء الإمام القرضاوي المفسِّر الفقيه ، لم يزدد به منهج التفسير بالقرآن إلا اهتماماً واعتمادًا واجتهاداً وتطويراً، وتوسعة وتفصيلاً – كما سوف نرى تباعاً – وذلك تواصلا منه لما خطَّه العلماءُ قبله، ولعلنا نقف على خير مثالٍ يمثل هذا المنهج في جانبيه النقلي والعقلي.

فإن القارئ الممعنَ النظر في مؤلفات الإمام القرضاوي ونتاجه العلمي بعامَّة، ودراساته القرآنية والتفسيرية بخاصَّة، يعلم جيداً اهتمامه بهذا النوع من التفسير، ويقف على أولويته في فكره العلمي والمنهجي، ويرى أسبقيته المصدرية على سائر المصادر والطرق التفسيرية الأخرى.

ولا غرو أن يضع لنا في مقدمته التفسيرية النظرية الشاملة في كتابه " دروس في التفسير ،تفسير سورة الرعد "، أن يضع قواعد وضوابط منهجية، تضمن للملتزم بها سيراً تفسيرياً سليماً لكتاب الله عزَّ وجلَّ، بل هي من الأهمية بحيث يصير التسليم بها ضرورة منهجية وتفسيرية في المجال، حيث قال: " وهناك قواعد لابد أن نسلِّم بها إذا أردنا أن نفسر كتاب الله عزَّ وجلَّ تفسيراً على منهج سليم " [2].

فكان من نصيب هذا المنهج أُولى هذه القواعد الضابطة، فقال: " أُولى هذه القواعد أن خير ما يفسر القرآن هو القرآن، لأن القرآن يصدق بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً كما قرأنا: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء :٨٢] فما أُجمل في مكانٍ نجد تفسيره وتفصيله في مكانٍ آخر، وما كان مطلقاً في آية قد تُقيِّده آية أخرى" [3]. وهذا ما

(١) **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي:٤٦/١.

(٢) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٢١.

(٣) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٢١.

ينبغي على المفسر معرفته أثناء تفسير القرآن بالقرآن " بحيث يستطيع أن يأتي – في الموضوع الواحد – بالآيات المشابهة والآيات المقابلة والآيات المتمِّمة "[١]، كما قاله القرضاوي أيضًا.

وأهمية هذا المنهج في التفسير– في نظر القرضاوي– تكمن في ضرورة تفسير القرآن بالقرآن، أولاً وقبل كل شيء، وذلك حتى يستبين المراد القرآني، وتتضح أو تتكامل الرؤية التفسيرية المنشودة، في الفهم والاستدلال والاستنباط. وهو الأمر الذي أكده في كتابه القيم " كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟ " مبيِّناً شرعية هذا المنهج من واقع الطبيعة الموضوعية والتركيبة اللفظية للقرآن حيث قال: " ولا بد من ضم الآيات والنصوص بعضها إلى بعض، حتى يتكامل الفهم، ويستبين المقصود من النص"[٢].

ولم يكن اهتمام الإمام القرضاوي بالتعامل مع القرآن بالقرآن انطلاقا من اهتمام علماء القرآن والتفسير به فحسب، بل نجده يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك تأصيلاً للقضية، فإنه المنهج الذي اعتمده الرسول ﷺ، وسنّه للأُمة من بعده، وعلَّمه للصحابة – رضي الله عنهم– حتى صار منهجاً نبويًا يحمل صفة الإلزامية في العمل، والتبعية في الإقتداء والاهتداء.

يقول القرضاوي في هذا التعامل مع القرآن : " وأول من سنَّ ذلك وعلَّمه لنا هو رسول الله ﷺ فحينما قرأ الصحابة قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام:٨٢]. قلق الصحابة – رضي الله عنهم–، وخافوا على أنفسهم. فظاهر الآية أنه لا أمن ولا اهتداء لمن شاب إيمانه بأي ظلمٍ، وهو يشمل كل معصية، ولو صغيرة. لهذا قالوا: يا رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه ؟! فقال النبي _ صلى الله عليه وسلم _ ليس كما تظنون، ولكنه الشرك. أما قرأتم قول العبد الصالح: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[لقمان :١٣] ،[٣]...كما أن النبي ﷺ أنكر أشدَّ الإنكار على بعض الصحابة الذين خرج عليهم وهم يختصمون في القدر، يأخذ هذا بآية، ويعارضه ذلك بآية، فزجرهم غاضباً، وقال:{ أبهذا أمرتم؟! أم لهذا خلقتم؟! تضربون كتاب الله بعضه ببعض! إن الله أنزل كتابه يصدق بعضه بعضاً }[٤]،" [٥].

وبعد هذا النقل التنظيري عن القرضاوي حول أهمية منهج تفسير القرآن بالقرآن، القائم على دلالة وواقعية القرآن ، والتوجيهات النبوية الصريحة، حيث اكتسب هذا المنهج الصبغة

---

(١) **المصدر السابق** ، ص٢١-٢٢ .

(٢) **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟** ، القرضاوي ، ص٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في **صحيحه** { كتاب الإيمان } { باب ظلم دون ظلم } :٢ /٢١. ومسلم في **صحيحه** { باب صدق الإيمان وإخلاصه } :١١٤/١ ، وراجع : **تفسير القرآن العظيم** ، ابن كثير :٢/ ١٥٣– ١٥٤.

(٤) أخرجه البخاري في **خلق أفعال العباد** ، ص٦٣ ، وابن ماجة في **السنن** { باب اتباع سنة الرسول ﷺ } ومنه { باب في القدر } :٣٣/١ ، وأحمد في **المسند** :١٨١/٢، ١٨٥ .

(٥) **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟** ، القرضاوي ، ص٢٢٠. وراجع شرح المثال بالتفصيل في : مقدِّمة **تفسير سورة الرعد** ، له : ص١٨– ١٩.

القرآنية، والصفة السنِّية، فكان جديرًا بهذا المنهج أن يكون أكمل المناهج التفسيرية، فإن " أكمل المفسرين _ كما يقول القرضاوي _ من نهج النهج النبوي في تفسير القرآن بالقرآن " (١).

وإعجاب القرضاوي بمنهج النبي ﷺ في تفسير القرآن بالقرآن، ووصفه لمن استَنَّ به بأن منهجه أكمل المناهج التفسيرية، هو إشارة تأكيدية واضحة إلى ما جاء عنه في المعنى، بأنه " ليس بعد القرآن بيان " (٢).

ونكون من خلال هذه النصوص الشرعية الثابتة، والأقوال القرَضاوية، قد وقفنا على الفلسفة الكامنة وراء اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن، وأولوية هذا المنهج في تفكيره القرآني، ومنهجه التعامُلي معه. ولهذا الاهتمام النظري بالتعامل مع القرآن بالقرآن عند الإمام القرضاوي أمثلة تفسيرية تنظيرية توضح حال هذا الاهتمام ؟ والمبحث التالي يتولى طرحها وشرحها.

المبحث الثاني

بعض النماذج التنظيرية التطبيقية لهذه الأهمية

إن ما كتبه الإمام القرضاوي في التفسير ومنهجه فيه بخاصَّة، وكيفية التعامل مع القرآن العظيم بعامة، تجده عقدًا منتظمًا من التنظير والتقعيد، والتأصيل المدَّعم بالتمثيل والاستشهاد المفصَّل، والتحليل المسهب، مما يبلغ بالبحث العلمي تمامه في فكره التفسيري.

نكتشف هذا، ونحن في دراسة كتاباته التفسيرية التنظيرية، فيما يخص تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث يضع الضوابط والمواصفات التي يجب أن يتحلى بها المفسِّر وتتوفر في منهجيته، ويضرب لها الأمثلة النظرية التطبيقية التوضيحية، لما ينتُجُ من الخلل والنقص لدى المفسِّر، أثناء قيامه بالعملية التفسيرية؛ بسبب عدم الالتزام بتلك الضوابط، وخشية وقوع المفسرين في أخطاء تفسيرية متوقَّعة، أو التحذير من أفهامٍ خاطئة قد وقعت بالفعل، مما يدل على أهمية اعتماد المفسر لهذا المنهج، وخطورة عدم الالتزام به، أو تجاوزه في التفسير، وهذه بعض الأمثلة في المعنى.

فبعد أن ذكر القاعدة الأُولى: وهي تفسير القرآن بالقرآن قال معقِباً: " فالقرآن يَفسِّر القرآن والذي سنَّ لنا هذه السنة هو رسول الله ﷺ حينما قال للصحابة – رضوان الله عليهم – أما سمعتم قول العبد الصالح: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣] " (٣).

نجده يلفت انتباهنا إلى سورة الفاتحة ليضرب لنا منها المثل التفسيري الواضح في بيان كيفية علاقة آياتها ببقية الآيات القرآنية في السِّور الأخرى، وضرورة التفسير والجمع بين ألفاظها ومعانيها حيث قال: " وأنت حينما تقرأ فاتحة الكتاب، وتقرأ فيها: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾

(١) **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟** ، القرضاوي ، ص٢٢١ .

(٢) **النِّيَّة والإخلاص** ، القرضاوي : ص١٨ .

(٣) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٢ ، وقد سبق تخريج الحديث في الصفحة السابقة.

[الفاتحة:١] وتتساءل ما المقصود بالعالمين ؟ تجد توضيح ذلك في آية أخرى في سورة الشعراء في حوار موسى مع فرعون ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ** ﴾ [الشعراء :٢٣- ٢٤] فعلمنا أن العالمين هي السموات والأرض وما بينهما. فهو رب الكون كله علويه وسفليه، وحينما تقرأ من فاتحة الكتاب: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [الفاتحة:٤] تجد تفسير يوم الدين في سورة الانفطار: ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾ [الانفطار: ١٧،١٨،١٩]. وهكذا فالذي يريد أن يفسر القرآن ينبغي أن يبحث عن المعنى في سور القرآن المختلفة، تقرأ: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ**﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] فإذا أردت أن تعرف من هم الذين أنعم الله عليهم؟ تجد آية أخرى في سورة النساء: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩] "[1].

بل إن البراعة التفسيرية في المنهجية التنظيرية تظهر عند في جعله من الالتزام بالتعامل مع القرآن بالقرآن المنهج الذي يدحض الشُّبه التفسيرية المتعمَّدة وغير المتعمَّدة، والاستدلالات الخاطئة من القرآن، فيأخذ بأيدينا إلى أهمية الرجوع في التفسير إلى هذا المنهج ويعلمنا أهمية استقراء الألفاظ القرآنية في المعنى الواحد، وتتبع المعاني كذلك، ومن ثم يحذِّرنا من خطورة تجاوز هذا المنهج أو إهماله، وإلى هذا المعنى يشير فيقول: " لا ينبغي إذاً لمن يفسِّر القرآن أن يمسك بآية واحدة ويدع بقية القرآن، بل ينبغي أن يتتبع اللفظ حيناً وأن يتتبع المعنى حيناً آخر ليعرف موقف القرآن من القضية التي تعنيه " [2]، ويضرب لذلك الأمثلة، ومنها.

قال : " هناك قومٌ أخذوا قوله تعالى عن الخمر والميسر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة :٩٠] فقالوا: إن القرآن قال: فاجتنبوه ولم يقل: حرمت عليكم وكأن كلمة فاجتنبوه هذه كلمة هينة، ولو أنهم تتبعوا كتاب الله لوجدوا أن هذه الكلمة إنما جاءت مقترنة بأعظم الذنوب: بالشرك، وبالأوثان، وبالكبائر. يقول الله تعالى: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾ [الحج: ٣٠] ويقول : ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا**﴾ [الزمر: ١٧] ويقول : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦] ويقول : ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَم** ﴾ [النجم: ٣٢] ويقول: ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٧] " [3] .

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٢.

(٢) **المصدر السابق** ، ص٢٢.

(٣) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٣.

ثم تابع المثال بعد ذلك فقال: " فلو نظرت لوجدت أن الكلمة تأتي مع الشرك ومع الأوثان ومع الطاغوت ومع كبائر الإثم، وهذا هو مورد الكلمة في القرآن، ومعنى اجتنب أي اجعل بينك وبين الشيء جانباً، فكأنها لم تنه عن اقتراف الذنب أو الإثم فقط بل نهت عن فعله وعن الاقتراب منه فهي تشبه ﴿ **وَلا تَقْرَبُواْ** ﴾ كما في آيات الزنا قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٣٢] فالقرآن لم ينه عن الزنا فقط بل نهى عن الاقتراب منه، وعن ما يقرب منه، ويوصل إليه ويساعد عليه، مثل التبرج والخلوة والقبلة، إلى غير ذلك "(١).

ففي هذا المثال يتضح لنا احتكام القرضاوي في تفسير القرآن إلى القرآن نفسه، وبيانه للآثار المترتبة على عدم هذا الاحتكام في العملية التفسيرية ، وفي المثال أيضاً إشارة إلى بشاعة الاستنتاج القائم على الاستدلال الخاطئ في تقرير القضايا والمسائل القرآنية (٢).

ومن الضوابط المنهجية في تعامله مع القرآن بالقرآن والتي أشار إليها في الجانب النظري من منهجه التفسيري قضية السياق القرآني ومراعاته في التفسير؛ كونه قاعدة أساسية وخطوة لابد منها في هذا الجانب في نظره (٣) حيث قال: " ومن المهم في تفسير القرآن بالقرآن أن يلاحظ السياق الذي وردت فيه الآية أو وردت فيه الجملة أو وردت فيه الفقرة، ولا يعزل الكلام بعضه عن بعض، فالكلمة الواحدة قد تكون لها معاني عدة في القرآن، والذي يحدد المعنى في هذا هو السياق "(٤).

وقد ضرب لنا في هذه القضية الأمثلة والشواهد التفصيلية التحليلية، وعرضها عرضاً جميلاً، بحيث نرى تفسير القرآن بالقرآن، وتتبع الألفاظ وتتبع المعاني على سواء، ونكتفي بضربه كلمة " الكتاب " في القرآن مثلاً، ونحيل على الأخرى.

قال : " فمثلاً كلمة " الكتاب " في القرآن الكريم أحياناً ترد بمعنى القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [البقرة: ٢] وقوله : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ [النساء من: ١٠٥،الزمر من:٢]، وأحياناً ترد كلمة ﴿ **الْكِتَابْ** ﴾ بمعنى التوراة كما في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَآ مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٣.

(٢) وللمزيد من الأمثلة على القضية ، راجع على سبيل المثال : نموذجان تفسيريان للقرآن بالقرآن هما قمَّة في الدلالة على المعنى ، وفيهما تظهر مناقشة القرضاوي التفسيرية لبعض المستشرقين وشبها تهم على القرآن " **تفسير سورة الرعد** ، ص٢٣- ٢٥ ، ص ٢٥-٢٦.

(٣) كان القرضاوي قد أشار إلى قضية السياق هذه في مقدمته التفسيرية في كتابه " **تفسير سورة الرعد** " وضمنها تنظيره لتفسير القرآن بالقرآن ، وضرب لها الأمثلة كما هو مبين ، لكنه أفردها على استقلال في كتابه " **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟** " بعنوان " مراعاة السياق " ضمن معالم وضوابط المنهج الأمثل في التفسير، وقد درستها في الباب الثاني من رسالتي للدكتوراه.

(٤) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٦.

[الإسراء: ٢] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ [غافر: ٥٣] وأحياناً ترد كلمة " **الكتاب** " بمعنى التوراة والإنجيل معاً كما في قوله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ** ﴾ (١) .. وقوله: ﴿ **أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا** ﴾ [الأنعام: ١٥٦] ويراد بكلمة الكتاب أحياناً اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق كما في قولــه: ﴿ **وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الأنعـام: ٥٩] ويراد بالكتــاب أحياناً الشيء الذي يكتب كما في قوله : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِــنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً** ﴾ [البقـرة: ٧٩] ويراد به أحياناً مصدر كتب أي الكتابة، فأنت تقــول كتب كتابة وكتاباً، وهو وجه في قوله تعالى عن المسيح عيسى ابن مــريم: ﴿ **وَيُعَلِّمُــهُ الْكِتَــابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ** ﴾ [آل عمران: ٤٨] "(٢).

ثم ذكر معانٍ أخرى لكلمة " الكتاب" في القرآن كما جاءت عند بعض المفسرين حتى قــال معقباً على هذا التفسير التَّتَبُعِي الاستقرائي لهذا اللفظ في ظل سياقه القرآني: " فكيف عرفنــا فــي المواضع المتفرقة أن الكتاب هو القرآن، وهو التوراة، وهو التوراة والإنجيل معاً، وهــو اللــوح المحفوظ، وغير ذلك ؟ إنه السياق الذي يحدد المعنى، فنقول إنه بمعنى المكاتبة فــي: فــي قولــه تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْــرًا** ﴾ [النــور: ٣٣]، ولذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يأخذ آية وحدها ويترك السياق، وهذا يحدث كثيراً في التفسير: أن تقطــع الآية عن السياق" (٣).

فهذه بعض المعالم والضوابط النظرية فيما ينبغي أن يكون عليه منهج المفسرين في تفسير القرآن بالقرآن كما هي في نظر القرضاوي، وقد جاءت صــريحة وواضــحة، حيــث أردفهــا بالشواهد والتطبيقات التفسيرية في الإطار النظري للمنهج نفسه، وقام بصياغة كل ما يتصل بهذه المعالم والضوابط إلى نظرية تفسيرية عامة، وعلى وجه التحديد في كيفية تتبع الألفــاظ، وتتبــع المعاني،وملاحظة السياق في القرآن الكريم، كما رأينا.

وهناك معالم وضوابط منهجية جاءت في تطبيقاته التفسيرية، وإن لم يشر إليها في الجانب النظري صراحةً، ومنها اعتماده في تفسير القرآن بالقرآن على بعض قضايا علوم القرآن (٤) .

---

(١) سورة **آل عمران** ، من الآية : " ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٨ ، ٩٩ وغيرها " هكذا ذكر القرضاوي أرقــام الآيات . راجع : **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي، ص٢٧.

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٦، ٢٧.

(٣) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٢٧. وراجع : **كيف نتعامل مــع القــرآن العظـيم**، ص٢٤٠– ٢٤٣، ولمزيد من الأمثلة الأخرى، راجع أيضًا: **تفسير سورة الرعد**، له ، ص ٢٧،٢٨،٢٩، و**كيف نتعامــل مــع القرآن العظيم**، له، ص٢٣٩– ٢٤٣.

(٤) انظر : **الفصل الثالث من هذا البحث تجد تفصيل ذلك.**

ذلك أن كثرة ممارسة الإمام القرضاوي لحفظ القرآن الكريم، وقوة استظهاره للآيات القرآنية في الموضوع الواحد، وسرعة بديهته لمواضع الأدلة القرآنية في الفهم والتفسير والاستدلال، وتمكنه العلمي من مضامين وأغراض آيات القرآن الكريم، وقضايا علومه ، جَعَلَه يأتي بأنواعٍ عديدة من الطرق والأساليب المنهجية في تفسير القرآن بالقرآن، وهي ظاهرة للعيان في غير ما نحن بصدد دراسته في هذا البحث ، وهو منهجه في التعامل مع القرآن بالقرآن.

وإنه لشأوٌ بعيدٌ استقصاء جميع هذه الطرق والأساليب من واقع دراساته القرآنية؛ لأنه ما من آية قرآنية أو آيتين، أو وحدة قرآنية، أو وحدتين ذكر إحداهما تفسيراً للأخرى إلا وبينهما تقاربٌ وتشابهٌ وتناظر، أو مناسبة لفظية أو معنوية وعلاقة بوجهٍ ما من جهة، وبين علوم القرآن من جهة أخرى، ويظهر ذلك جلياً عند المفسر الحاذق، كما هو الأمر عند مفسِّرنا القرضاوي، لكننا سنسعى جاهدين – إن شاء الله – إلى ذكر بعض هذه الأساليب المنهجية مُرْدَفةً بالشواهد التطبيقية، كي نتعرف على مدى دقَّةِ هذا المفسِّر، وتحريه في تفسير الآيات القرآنية بعضها ببعض، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، وهو ما سنفصله في المبحثين– الثاني والثالث – التاليين بعد هذا المبحث النظري الأول.

الفصل الثاني

تعامله مع القرآن بالقرآن بأساليب وطرق عدَّة

ليس أمامنا في هذا الفصل – والذي يليه – إلا أن نقترب كثيراً من الجانب التطبيقي في تفسير القرضاوي القرآن بالقرآن، ونُثبت ما كنا قد ألمحنا إليه في الفصل النظري – السابق – بالتقرير والتمثيل والاستشهاد التفسيري، من أجل أن تكتمل لدينا الصورة العلمية، وتتكون الرؤية التفسيرية، وتتضح المعالم والضوابط المنهجية في كيفية تعامل القرضاوي مع النص القرآني في التفسير والاستدلال المنطلِق أساسا من النص القرآني، والمنتهي به كذلك.

لذا سنرى في هذا الفصل أساليب القرضاوي في هذه العملية التفسيرية المُمنْهجة قرآنياً، وذلك من حيث إظهار تعامله مع الأشباه والوجوه والنظائر القرآنية، وبيانه للتفصيل بعد الإجمال، وللخصوص بعد العموم ، وللتقييد بعد الإطلاق، وتفسيره للقرآن بتتبع الكلمات والمعاني القرآنية، وملاحظاته للسياق القرآني، ومراعاته لتعدد التعابير اللفظية في المعنى الواحد، أو تعدد المعاني في التعبير القرآني الواحد. إلى غير ذلك من المعاني القرآنية التي يستحيل على المفسِّر أن يقف على مرادها في غياب المعاني المناظرة لها من الآيات القرآنية الأخرى.

كل ذلك يأتي عند الإمام القرضاوي بأساليب وتعابير تفسيرية متعدِّدة: من التأييد، والتأكيد، والتصريح، والإبهام، والتقرير والتوجيه، و ذكر التساؤلات، وطرح الاحتمالات، وبيان عدم التنافي

أو التعارض بين الآيات القرآنية، وأخذه بالاستقراء والجمع والربط الآياتي، وأساليب أخرى على مستوى، الآية الواحدة أو الآيات، أو المقاطع القرآنية، وليس ذلك فحسب، بل وعلى مستوى السِّوَر والقرآن كله. وأما الكلام في هذه الأساليب التفسيرية فقد جاء ضمن خمسة مباحث.

المبحث الأول

تفسير المجمل بالمبين والعام بالخاص والمطلق بالمقيد

تفسير القرآن بالقرآن ما هو في الأصل إلا مقابلة الآيـــات القرآنيـــة بالآيـــات القرآنيـــة الأخرى، ومناظرة بعضها ببعض، وصولاً منها إلى المعنى المراد، ومن صور ذلك مقابلة الآيات المجمَلة المبهمة بالآيات القرآنية الأخرى المفصَّلة المبيَّنة، والعامة بالمُخصِّصة والمطلقة بالمُقيِّـــدة في الواقع والنوع والموضوع القرآني الواحد، وهي عملية منهجية ضرورية للمفسِّر في سبيل بيان الألفاظ والمعاني والأحكام والقصص والأخبار القرآنية، ومعرفة الموجز منها والمبسوط، والمراد وغير المراد من المعاني في القرآن الكريم. مما نجده واضحاً بيِّناً عند المفسِّر القرضاوي، وسنقوم بتفصيله بالشواهد التفسيرية التطبيقية من خلال الفقرات الآتية:

أولاً : تعامل القرضاوي مع ما جاء مجملاً في بعض مواضع القرآن بما جاء مبيناً في المواضع الأخرى ومن أمثلته ما يلي :

(أ) ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٢] . قال القرضاوي: " وقد جاءت هذه الآية في سياق نعي القرآن على أهل الجاهلية دعاواهم على الله بغير الحق أنه أمر بكذا أو حرَّم كذا من غير سلطان أتاهم ، فقَبْل ذلك بآيات قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٨] ... وفي سورة الأنعام مناقشة تفصيلية للذين حرَّموا أنواعاً من الأنعام بغير برهان من الله، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ **ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤]..."[١].ثم شرع في ذكر الآيات المماثلة وبسط في تفسيرها والاستدلال بها على المعنى[٢].

---

(١) **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص١٥٢- ١٥٣.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٥٣- ١٥٤.

ففي هذا النموذج التفسيري نرى المفسِّر قد أتى بالآية الأولى التي أجملت الرد على الذين يُحرِّمون ما أحل الله من الطيبات ، وبعد أن وقف على المراد التفسيري من الذين يعلمون تفصيل الآيات، وأعاد الآية إلى سياقها، ذهب إلى الآيات الأخرى، هناك في سورة الأنعام ففيها المناقشة التفصيلية – كما يُسميها القرضاوي – لما أُجمل في آية الأعراف، وبهذا يكون القرضاوي قد قام بتفسير الآية المُجمَلة بالآيات المفصّلة المبيِّنة لها، كما هو واضح في المثال.

(ب) ومن الأمثلة الدَّالة في هذا المجال ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [الرعد: ٢٥].

فبعد أن وقف على تفسير الآية وأخذ يُفصِّل في الصفات الثلاث الأساسية للذين يبغضهم الله وهي المذكورة في هذه الآية [١] قام بتفسير الجزء الأخير من الآية، فقال ذاكرًا للآية ومفسِّرًا لها بآية أخرى : " ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ وفي سورة البقرة قال: ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ عاقبة لهؤلاء: ﴿ **الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] وهذه الخسارة بينتها آية الرعد التي معنا: ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾، واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله تبارك وتعالى... " [٢].

في المثالين السابقين رأينا تفسير المجمل بالمبيَّن، وأنه إحدى طرق وأساليب تفسير القرآن بالقرآن عند القرضاوي، وهي طريقة لا غنى عنها لمن رام التفسير، وقد اعتاد علماء التفسير ومناهجه قديماً وحديثاً هذه الطريقة أو الأسلوب؛ لكننا نجد عند القرضاوي المفسِّر – إضافة إليها – شيئاً جديداً في المجال وهو الاستدلال بالآيات المبينة على الآيات المجملة في المعنى نفسه، بمعنى آخر إعادة ما جاء في القرآن مبيَّناً إلى ما جاء فيه بنفس المعنى مجملا ومبهما.

فانظر إلى عاقبة هؤلاء الذين عدد الله أوصافهم السلبية كيف تأتي مبيَّنة في آية سورة الرعد الذي هو بصدد تفسيرها ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ ثم نجد القرضاوي يرد هذه الآية المبيَّنة إلى الآية المُجمِلَة لعاقبة هؤلاء في سورة البقرة: ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾، فيذكر محل الإجمال في آية البقرة، وهي الآية المُستَدَلُّ بها في التفسير هنا، ثم يُصرِّح بأن ذلك الإجمال بينته آية سورة الرعد المراد تفسيرها، كما هو واضح في المثال التفسيري.

---

(١) راجع : **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢١٢– ٢١٥ .

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢١٥ .

وفي ذلك قلب ومغايرة في القضية المنهجية من المفسِّر حتى يتجلى المعنى ويتضح ويتأكد أكثر فأكثر في الآية المُفَسَّرَة، الأمر الذي يدل على مدى تمكن المفسر من البيان، وقدرته المنهجية على التعامل النَّوعي مع القرآن. ونكتفي بهذا الاستدلال في هذا المعنى المنهجي [(١)].

ثانياً : تعامل القرضاوي مع ما جاء في القرآن عاماً في سياق بما خُصِّص في سياقٍ آخر :

ومن صور تعامله مع القرآن بالقرآن بيانه للآيات القرآنية من حيث العموم والخصوص الواقع بين بعض الآيات والبعض الآخر، ومن أمثلته ما يلي :

(أ) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ** ﴾ [الرعد: ٢٧]. قال القرضاوي: " هذا الرَّد يعني أن هؤلاء ضُلَّال غلبت عليهم الضلالة، واستحبوا العمى على الهدى، فلم يروا النور أمام أعينهم وهو واضح ساطع،﴿ **إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء** ﴾ وبيان ذلك هناك في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ** ﴾[الآية:٢٦] فما أضلهم إلا لأنهم فسقوا عن أمره والله يضل من يشاء ممن كان على شاكلة هؤلاء الذين يرون الحق ناصعاً ولا يؤمنون به، تعنتاً أو جحودًا أو استحبابًا للدنيا أو : ﴿ **حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ [البقرة: ١٠٩] أو بغياً وعلواً أو غير ذلك "[(٢)].

نجد في هذا المثال التفسيري أن آية الرعد المفسَّرة جاءت بالجملة على عمومها وإطلاقها ﴿ **إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء** ﴾ لكن المفسِّر لم يترك هذا العموم على ما هو ما دام في القرآن ما يُخصِّصه ويقصر معناه، فبين هذا العام بما جاء مُخصِّصا له في سورة البقرة في قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ** ﴾ ، وفي هذا التفسير بيان للعام بالخاص.

(ب) ومنه ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة:١٥٣]، حيث قال : " وقد ذكرت هذه المعية في القرآن في عدة مواضع. في سورة البقرة حيث أمر تعالى المؤمنين أن يستعينوا على أمورهم بالصبر والصلاة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾. وفي السورة ذاتها على لسان المؤمنين من أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يشربوا منه إلا من اغترف غرفة بيده: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الآية: ٢٤٩]. وفي سورة الأنفال حيث أمر الله المؤمنين بما يلزمهم لمواجهة العدو من شرائط النصر، وأحدها الصبر

---

(١) للمزيد من الأمثلة والشواهد في الظاهرة ، انظر على سبيل المثال لا الحصر: **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي : ص١٣١- ١٣٣ ، ٢٢١- ٢٢٢ ، ٢٤٨- ٢٤٩ ، ٢٨٦ ، ١٤٣- ١٤٨، **والحلال والحرام في الإسلام** ، القرضاوي ، ص٤٢- ٤٣، و**التوبة إلى الله**، القرضاوي، ص١٩- ٢٠، و**ملامح المجتمع المسلم**، القرضاوي ، ص٥٩- ٦٠، و**رعاية البيئة في شريعة الإسلام**، القرضاوي، ص٣٢، ٥٨-٦٠، ١٦٠- ١٦، و**فتاوى معاصرة**، القرضاوي :٢/ ٢٤٩- ٢٥٠.

(٢) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٢٢١- ٢٢٢.

﴿ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية: ٤٦] –ثم ذكر الآيتين:٦٥، ٦٦ من السورة نفسها في هذا المعنى وقال: وهي معية خاصة تتضمن الحفظ والتأييد والحماية، وليست معية العلم والإحاطة، لأن هذه معية عامة لكل الخلق: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤] "[١].

وكما مرَّ معنا من إعادة الإمام القرضاوي الآيات المبينة المفصلة على الآيات المجملة المبهمة في المعاني القرآنية ذات العلاقة ، فإنه – هنا– في مجال تفسير العام بالخاص داخل القرآن، يأتي بما لم تجر عليه عادة المفسِّرين – بحسب علمي – حيث نجده يُفَسِّر ما جاء في القرآن خاصًا بما جاء فيه عاماً في المعنى القرآني ذاته ، والمعلوم الذي يجري عند المفسرين نظريًا وعمليًا هو تفسير العام بالخاص وليس العكس؛ لأن العام هو الذي يحتاج كثيرًا للخاص حتى يُخرجه من عمومه في حالة وجود المخصِّص وضرورته، لكن القرضاوي يستدل بالخاص على العام ليزيد المعنى رسوخًا، والتفسير وضوحًا، والفكرة القرآنية تثبيتاً وإحاطة.

فانظر في هذا النموذج كيف حدَّد المراد من المعية في الآية المفسَّرة الرئيسية والآيات المشابهة والمناظرة لها على أنها معية خاصة وليست بعامة، والدليل على ذلك أن المعية العامة هي في الأصل القرآني لكل الخلق وليست للصابرين فقط، واستدل لذلك بآية سورة الحديد، وهو من قِبَل المفَسِّر أسلوب جد نافع في بيان القرآن بالقرآن بملاحظة العموم والخصوص والتفسير العكسي بينهما، ويدل بالتالي على التوسعة المنهجية للقرضاوي في دراسته للنصوص القرآنية.

فهذان مثالان نكتفي بهما لإيضاح تفسير القرضاوي ما جاء في القرآن عامًا في سياق بما جاء خاصًا في سياق آخر منه، وفيهما الدلالة الكافية على ما لم نذكره من أمثالهما[٢].

ثالثًا : تعامل القرضاوي مع ما جاء في القرآن مطلقًا في سياق بما جاء مقيدًا له في سياقٍ آخر:

ومن صور التعامل مع القرآن بالقرآن عند القرضاوي حمل ما جاء في القرآن مطلقًا على ما جاء في موضعٍ آخر منه مقيدًا للمعنى نفسه ، ومن أمثلة هذا في تفسيره ما يلي :

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢]، مستدلاً بها على إباحة الطيبات، ومحاربة الإسراف والترف.

قال القرضاوي: " ولكنه– تعالى– قيَّد هذه الإباحة بألا تتجاوز حدود الاعتدال إلى السرف والترف، فقال تعالى: ﴿ **كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ** ﴾

---

(١) **الصبر في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص٦٨ – ٦٩.

(٢) ولمزيد من الأمثلة والشواهد في المجال على سبيل المثال لا الحصر، راجع: **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص٨٥ – ٨٦ ، ١٩٩– ٢٠٠، **الصبر في القرآن الكريم، القرضاوي**، ص٨٤– ٩٠ ودور **القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، القرضاوي، ص٩١– ٩٢.



[الأعراف: ٣١]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [المائدة: ٨٧] "[١]. وفي موضع آخر قال في بيان وتفسير هذه الآية: " ولكن الله حين أباح للناس أن يستمتعوا بالطيبات أكلاً ولبساً وتزيناً، لم يدع الأمر بغير قيود وضوابط، بل قيد الإباحة بعدم الإسراف، فقال تعالى قبل الآية السابقة في الإنكار على محرمي الطيبات: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف: ٣١]"[٢].

(ب) ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: " فإن الطاعة الواجبة لأولي الأمر إنما هي في ‹ المعروف › الذي تعرفه الفِطَر السليمة، والعقول الرشيدة، مما جاء به الشرع، وأيده العقل، وليست طاعة ولي الأمر مطلقة، حتى إن الله تعالى قَيَّد الطاعة لرسوله بالمعروف أيضًا حين قال في بيعة النساء له ﴿ **وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾ [الممتحنة:٢١] "[٣].

ولا يخفى ما في هذين المثالين من إتيان المفسِّر للآيات القرآنية المتضمنة لبعض الأحكام العامة المطلقة، لكنه سرعان ما ذهب إلى الآيات القرآنية الأخرى التي تتضمن تقييد تلك الأحكام والقضايا المتصلة بالمعنى نفسه كإباحة الطيبات من الرزق المقيدة بعدم الإسراف والتعدي لحدود الله، والطاعة المقيدة بالمعروف كما هو واضح في التفسير. ومن صور هذا الاستدلال المنهجي في تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن الكريم الشيء الكثير [٤].

المبحث الثاني
التعامل باستقراء التعابير والمعاني والمواضع القرآنية

حَفِلَ القرآن الكريم بكثيرٍ من الأساليب البيانية والتفسيرية، وذلك على مستوى السُّور والآيات والجمل والألفاظ، حيث تجد فيه التنوع في التعابير والتغيير في الألفاظ، والتعدد في المواضع والمواضيع في القضية القرآنية الواحدة، والموضوع القرآني الواحد.

ولقد دأب القرضاوي في دراساته القرآنية والتفسيرية والعامة، التنظيرية منها والتطبيقية على أن يُنقِّب عن مثل هذه الأساليب المنهجية في طبيعتها القرآنية ويوضحها ويشرحها ويظهرها للقارئ المستفيد والمتخصص الباحث، وعلى أن يستقرئ الآيات القرآنية وتعبيراتها وجملها

---

(١) **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي** ، القرضاوي ، ص٢١٧- ٢١٨ .

(٢) **رعاية البيئة في شريعة الإسلام** ، القرضاوي ، ص٢٠٣ .

(٣) **السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها** ، القرضاوي ، ص١٠٦ .

(٤) راجع على سبيل المثال : **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص ٢٢٧ ، و**الحلال والحرام في الإسلام** ، القرضاوي ، ص ٢٩٣- ٢٩٥ ، و**السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة** ، القرضاوي ، ص٢١٦ ، و**جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة** ، القرضاوي ، ص٦٥- ٦٧ ، **فتاوى معاصرة** ، القرضاوي : ٥٧/٣ ، ٦٠ .

وألفاظها مجتمعة أو منفردة ليستدل بها على تقرير الحقيقة القرآنية المعنية، في سبيل الكشف عن المعنى القرآني المراد إثباته وبيانه، وفيما يلي التفصيل التطبيقي في ضوء الدراسات القرآنية والتفسيرية وغيرها للقرضاوي المفسِّر.

أولاً : الاستدلال بالآيات القرآنية الأخرى على أنه قد تتعدد التعابير القرآنية في الآية التي هو بصدد تفسيرها أو الاستدلال بها ولكن المعنى المؤدَّى واحد :

فمن تلك الأساليب المنهجية والتفسيرية عند القرضاوي أنك تجده يعمد في تفسير الآية القرآنية أو المعنى القرآني الواحد إلى استقراء وتتبع أكثر من آية أو جملة قرآنية أو لفظ أو تعبير قرآني يدل على ذلك المعنى المُوَحَّد مع ما يتصل بتلك الألفاظ والتعابير من تغيير في أسلوب المعالجة، ومن هذا في تفسيره الشيء الكثير، وهذا شاهد من الشواهد الدَّالَّة على ذلك.

فتحت عنوان : **أهمية النية في القرآن الكريم** ، استقرأ الإمام القرضاوي وتتبع الآيات والجمل والألفاظ والمعاني القرآنية في هذا المعنى، مبيِّنًا تفنُّن القرآن في التعبير عنه بأساليب وتعابير متنوعة ومتعددة ، لكنها مؤتلفة وليست مختلفة.

فقال: " والقرآن يُعبِّر عن هذه النيَّة المشروطة بعبارات مختلفة مثل: إرادة الآخرة، أو إرادة وجه الله، أو ابتغاء وجهه، أو ابتغاء مرضاته. يقول تعالى: ﴿ **وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[آل عمران:١٥٢]﴿ **مَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا** ﴾ [آل عمران: ١٤٥] ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود: ١٥-١٦] فهؤلاء هم عبيد الدنيا، الذين جعلوا لها كل إرادتهم وسعيهم. ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]. قسَّمت الآيتان الناس إلى قسمين: مريد العاجلة، وهي الدنيا، بمعنى أنه ليس له هدف سواها، ومصيره ما ذكرت الآية: جهنم، ومريد الآخرة، الذي جعلها هدفه، وسعى لها سعيها، فمصيره ما ذكرت الآية ...

وهذا المعنى تكرر في القرآن: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾ [الشورى: ٢٠] ﴿ **وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ [الأنعام: ٥٢] ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ [الروم : ٣٩] ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى** ﴾ [الليل: ١٧- ٢٠] ﴿ **وَمَا تُنفِقُونَ إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ** ﴾ .... [البقرة: ٢٦٥] ﴿ **لا خَيْرَ فِي**

كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] " (١).

وفي موضع حديثه عن : فضل النِّيَّة والإخلاص في القرآن، ذكر في البداية في المعنى نفسه تسع آيات من القرآن الكريم مبيِّنًا فيها تكاثر أمر الله تعالى في كتابه بالإخلاص (٢) حتى قال: " وقد بيَّنا أن القرآن يذكر النيَّة والإخلاص بصيغ مختلفة، مثل: إرادة الآخرة، وإرادة وجه الله تعالى، أو ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته، وذكرنا من آيات كتاب الله ما يدل عليه (٣).

وأحيانًا يُعبِّر عن ذلك بقوله: ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وخصوصًا مع الإنفاق والجهاد والقتال .." (٤).

فهنا ذكر المفسِّر تعابير القرآن الكريم وتسمياته للنِّيَّة والإخلاص، وقام بعملية الاستقراء والتتبع للمواضع القرآنية النَّاصَّة على ذلك، وكلها صيغ وأساليب بيانية قرآنية مؤدَّاها التفسيري في المعنى القرآني واحد، كما هو واضح في هذا المثال والذي سبقه وغيرهما من الأمثلة والشواهد التفسيرية التي لم نذكرها في الظاهرة المنهجية (٥).

ثانيًا : الاستدلال بالآيات القرآنية الأخرى على تعدد المعاني القرآنية للكلمة أو الجملة الواحدة في الآية التي هو بصدد تفسيرها :

إذا كنا قد عرفنا تتبع واستقراء الإمام القرضاوي للتعابير والألفاظ والمواضع القرآنية في المعنى الواحد، فإن المعاني القرآنية قد تتعدد لتشمل أكثر من معنى مع أن التعابير والألفاظ المعبرة عنها واحدة، بمعنى آخر قد يُطلق اللفظ في القرآن الكريم ويُراد به أكثر من معنى أو تفسير، ويظهر ذلك ويتبين من خلال براعة المفسِّر وبحثه عن هذه المعاني وتتبعه لهذا اللفظ أو التعبير المندرج تحته في مختلف المواضع القرآنية، ومن أمثلة ذلك في دراساته القرآنية، ما يلي:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...** ﴾ [الرعد: ٢] .

فبعد أن فسَّر الآية تفسيرًا إجماليًا بدأ يُفَسِّرُ الآية جملةً جملة، ومقطعًا مقطعا. قال: " هذا السقف المرفوع. السقف المحفوظ. هذا البناء الرباني، من فوقنا، والسماء في اللغة هي كل ما علاك، حتى السقف يمكن أن يكون سماء كما جاء في سورة الحج ﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ**

---

(١) **النية والإخلاص** ، القرضاوي ، ص١٦– ١٨ .ونقاط الاختصار من القرضاوي في هذا الموضع.

(٢) راجع : **النية والإخلاص** ، القرضاوي، ص٣٩– ٤٠.

(٣) راجع : النموذج الأول بالرمز ‹ أ › ، و**المصدر السابق** ، ص ١٦– ١٨.

(٤) **النية والإخلاص** ، القرضاوي ، ص ٤٠.

(٥) للمزيد من الشواهد في هذا المجال ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، راجع: **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، القرضاوي، ص١٢٣– ١٢٤،٢٨– ٣٠ ، ٥٢– ٥٣ ، ١٩٥ – ١٩٦ ، ٢٠٢– ٢٠٣ ، ٢٦٥– ٢٦٩ ، ٨٣ ، و**ملامح المجتمع المسلم**، القرضاوي ، ص١٩٠– ١٩٢، و**القدس قضية كل مسلم** ، القرضاوي، ص٨٥– ٨٨ ، **التطرف العلماني في مواجهة الإسلام**، القرضاوي، ص٩٨– ٩٩.

اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ [الآية: ١٥] فقوله " بسببٍ إلى السماء " يعني بحبل إلى السقف فيخنق نفسه. وهل هذا يُريحه وينتهي الأمر ؟!. وتطلق السماء أيضًا على السحاب الذي يُنزلُ اللَّهُ سبحانه وتعالى من الماء. وهناك السموات العُلَى كما جاء في سورة طه ﴿ **تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى** ﴾ [الآية: ٤]. وقد ذكرت سموات منكرة خمس مرات. وذكرت السموات معرفة مائة وخمساً وثمانين مرة [١] ... السموات هي هذا الكون العلوي العظيم من فوقنا لا نعرف منه إلا القليل ..." [٢].

(ب) وما جاء عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ [الرعد: ٣] .قال القرضاوي ذاكرًا لهذه الجملة القرآنية ومفسِّرًا لها: " ﴿ **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ من جميع الثمرات في الأرض جعل الله سبحانه وتعالى زوجين اثنين، وكلمة زوج أحياناً تُطلق على الفرد أو الشيء الذي يقرن بغيره من نظير له أو ضد له، وأحيانًا تُطلق على الاثنين فهناك زوج وهناك فرد، وتُطلق على الصنف، فمن كل زوج صنف كما قال تعالى: ﴿ **وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [ق: ٧] أي صنف جميل حسن، وقال:﴿ **مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [٣] أي صنف أصيل رفيع القيمة، فأما الزوج من الشيء وضده فمثل الذكر والأنثى: ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى** ﴾ [النجم: ٤٥] " [٤].

ونكون من خلال هذين المثالين قد وقفنا على كيفية تعامل الإمام القرضاوي مع الآيات القرآنية بالتفسير والاستدلال من الآيات الأخرى، وذلك من حيث إن المعاني قد تتعدد تحت مسمى الكلمة أو الجملة القرآنية الواحدة ، لذلك كان تفسيره للآيات القرآنية أو استدلاله بها في مواضعها يحفل بالكثير من مثل هذه الأساليب المنهجية والتعامل القرآني الواضح [٥].

ثالثًا : الاستدلال بالقرآن على معنى الآية أو الألفاظ القرآنية التي هو بصدد تفسيرها حسب سياق مجيئها وفي إطار نظائرها من الآيات الأخرى :

الإمام القرضاوي من أبرز العلماء المسلمين المعاصرين المهتمين بدراسة الآيات القرآنية مجتمعة بعضها إلى بعض، وبدراسة الآية في ضوء سياقها في موضع مجيئها وفي ظل نظائرها وأخواتها من الآيات الأخرى ، وهذا ينسجم مع دعوته النظرية إلى مراعاة سياق الآيات القرآنية

---

(١) راجع ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٤٤٧– ٤٥٠، أما كلمة ‹ السماء › هكذا مفردة مائة وعشرين مرة في القرآن الكريم كله ، **المصدر نفسه** ، ص٤٤٥– ٤٤٧.

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٨٦– ٨٨ مع الحذف المشار إليه ، وراجع : إلى ص٨٩.

(٣) سورة **الشعراء** ، من الآية : ٧ ، وسورة **لقمان** ، من الآية : ١٠.

(٤) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص١٠٥– ١٠٦ ، ثم بسط التفسير بعد ذلك ، راجع : **المصدر نفسه** ، ص١٠٦– ١٠٧.

(٥) للاستزادة من بعض الأمثلة الأخرى في توضيح المجال ، راجع : **تفسير سورة الرعد** ، ص٢١٦– ٢١٧ ، ٢٤٨ . وغير ذلك في هذا المصدر وغيره.

عند تفسيرها أو الاستدلال بها واستنباط المعاني منها، وذلك حتى يكون المنهج التفسيري الذي ينشده أمثل المناهج، ولقد التزم هذا الطريق التفسيري في دراساته القرآنية والتفسيرية – والعامة – التطبيقية ، ومن أمثلة ذلك في تفسيره ما يلي :

(أ) ما جاء تحت عنوان: المراد بالسيئة والحسنة ، عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الرعد:٦] .

قال القرضاوي : " تكلمنا فيما مضى عن موقف الكافرين الأول الذي سجّله القرآن الكريم من إنكارهم للبعث والمعاد، وبين أيدينا الآن موقفهم الثاني الذي سجّله القرآن الكريم من الاستعجال بالسيئة قبل الحسنة، تلك المقولة من مقولاتهم،.. أنهم يستعجلون رسول الله ﷺ بالسيئة قبل الحسنة، والمراد بالسيئة هنا العقوبة تنزل عليهم من السماء " [(١)] .

وبعد هذا الربط المحكم في إعادة الآية وما تحمل من معاني إلى الآيات السابقة من السورة ليتسنى له تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ** ﴾. في ظل سياق الآيات قبلها والمواقف والمعاني القرآنية قال: " فكلمة السيئة والحسنة تردان في القرآن بمعنيين: السيئة بمعنى المعصية، والحسنة بمعنى الطاعة كما في قوله تعالى:﴿ **مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا** ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وكما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ** ﴾ [هود: ١١٤] وتردان بمعنيين آخرين، الحسنة: النعمة تنزل بالإنسان تسره والسيئة النقمة والمصيبة والعقوبة تنزل بالإنسان فتسوءه مثل قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ** ﴾ [النساء: ٧٨] فالحسنة هنا بمعنى النعمة من الله والسيئة من شؤم محمد، ويقول الله تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] وهذا كثير في القرآن: ﴿ **وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الأعراف:١٦٨] أي بالنعم والمصائب ﴿ **ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ...** ﴾ [(٢)]، فالمراد هنا: ﴿ **بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ** ﴾ المصيبة والنعمة "[(٣)].

(ب) ومنه ما جاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ** ﴾ [الرعد:٢٦] .

قال القرضاوي: " وهؤلاء الذين بسط الله لهم الرزق فرحوا بالحياة الدنيا، بنصيبيهم وما أوتوا من رزق ومن سعة في هذه الحياة الدنيا، والفرح في ذاته ليس مذمومًا، وإنما يُذم إذا أدَّى إلى الأشر والبطر فهذا هو الفرح الذي نَهَى قومُ قارون قارون عنه: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ**

---

(١) **تفسير سورة الرعـد** ، القرضاوي ، ص ١٣٠ ، وراجع : **المصدر نفسه** ، ص١١٥– ١٢٩ .

(٢) إشارات الاختصار والحذف من القرضاوي ، والآية في سورة **الرعد: ٩٥.**

(٣) **تفسير سورة الرعـد** ، القرضـاوي ، ص ١٣٠ ، وراجع : بسطه في تفسيـر الجملة المعنية من الآيـة إلى ص١٣١ ، **المصدر نفسه** . وهو في غاية من الدقة في تفسير القرآن بالقرآن .

اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] فالمقصود بالفرح هنا هو الفرح المؤدي إلى البطر والكفر بنعمة الله عزَّ وجلَّ والغرور، وهذا ما لوحظ في قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨] فهو فرح بغير الحق كما قال القرآن الكريم: ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [غافر: ٧٥] ... أما الفرح بفضل الله تبارك وتعالى فهو مطلوب: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨] ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ [الروم :٤،٥] "(١).

والمثالان واضحان في الدلالة على المعنى المُستدَل له هنا ، حيث فسَّر القرضاوي كلمتي السيئة والحسنة أولاً في ضوء مجيئهما في موضعهما من السورة وحسب سياقهما في بقية السور القرآنية ثم انطلق وتوسع في الاستدلال ليقف على المعنى كاملاً وشاملاً ، وفعل مثل ذلك في شرح معنى الفرح ومتى يكون مذموماً ومتى يكون محمودًا ، كل ذلك وضَّحه حسب السياق القرآني للأمرين. ومواضع استعمالهما في القرآن الكريم.

رابعاً : تعامله مع الآية القرآنية بالاستدلال عليها بمواضع مجيئها نفسها أو مقطع منها مرَّةً أو مرَّاتٍ أخرى في القرآن :

قد تأتي الآية القرآنية هي ذاتها، أو مقطعٍ منها، أو فاصلتها أكثر من مرَّةٍ في القرآن الكريم ، بمعنى آخر أن الآية القرآنية أو جملة منها قد تأتي بمعناها أكثر من مرَّةٍ، وقد تأتي بلفظها أيضًا مرَّاتٍ أخرى. والمفسِّر – أي مفسِّر – بما أنه يحمل معاني الآيات القرآنية الأخرى على الآيات المقصودة في التفسير اعتماداً منه على حمل الشبيه بالشبيه، والنظير بالنظير؛ فإنه من بابٍ أَوْلى يأتي بالآية القرآنية إذا جاءت هي بنفسها وبلفظها أو جملة منها مرة أخرى، ليضمُّها إلى توأمتِها تأكيدًا للمعنى الذي جاءت من أجله هنا أو هناك، وبالنظر إلى تعامل القرضاوي مع الآيات القرآنية فإنه – في نظري– خير من يتمثَّلُ هذا في تعامله وتفسيره القرآن بالقرآن، ومثاله:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلاَلٍ ﴾ [الرعد:١٤] قال: " ... وقد ذكر لنا القرآن من أحوال أهل النار : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: ٤٩– ٥٠] وهذه حقيقة فدعاء الكافرين ضائع ضال ذاهب لا جدوى منه؛ لأنه دعاء من لا يستجيب له " (٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً * وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ

---

(١) **تفسير** سورة **الرعد** ، ص٢١٧– ٢١٨. وللمزيد من الأمثلة، انظر مثلاً : **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص١٩٥– ١٩٦، ١٦،١٢٥– ١٨، ١٩٨– ٢٠٠، و**الصبر في القرآن الكريم**، له، ص٣١–٣٢.

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص١٧٠.

طُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦- ٣٧]. قال القرضاوي بعد تفسير الآية الأولى والثانية بالآيات القرآنية الأخرى: " هذه الآية – أي الثانية – جاءت هنا ،ووردت في وصايا لقمان لابنه في قوله ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان:١٨] "(١).

(ب) ومن هذا ما جاء عند استدلاله بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ [يونس:٣٦].

قال القرضاوي في بيان هذه الآية وتأكيدها : " وفي سورة أخرى : ﴿ **وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ [النجم:٢٨]. ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلا تَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام:١٤٨] وقال في شأن المشركين عمومًا، ودعوتهم للأصنام من دون الله: ﴿ أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ ﴾ [يونس:٦٦] . بل جعل القرآن اتباع الظن والخرص وراء ضلال أكثرية أهل الأرض وإضلالهم عن سبيل الله. يقول تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام:١١٦] "(٢). ففي هذه الأمثلة الدليل التفسيري العملي على ما قررناه في بدء هذه الفقرة، وهو تفسير قرآني قرآني منهجي نوعي، ومن هذا الاستعمال في تفسيره الشيء الكثير مما هو مبثوث في مظانه من دراساته (٣).

المبحث الثالث

بيان الآيات القرآنية الأخرى بأسلوب الجزم أو عدمه

من أساليب التعامل مع القرآن بالقرآن عند الإمام القرضاوي أنه يستدِلّ على الآية القرآنية المفَسَّرَة بما يناظرها من الآيات الأخرى – كما هو معلوم سابقًا – لكنه هنا إمَّا أن يُضفي على الآيات المستَدَلّ بها في التفسير ألفاظ القوة والتأكيد والتأييد مع الجزم والتصريح بأنها جاءت مُقرِّرة لمعنى تلك الآية أو الآيات، وإمَّا أن يذكرها مباشرة من غير التمهيد لها بتلك الأوصاف، ومن غير جزمٍ ولا تصريح بانطباق تلك المعاني، وإمَّا أن يضع حول الآية المراد تفسيرها عِدَّة تساؤلات واحتمالات تفسيرية لتحديد وتعيين المعاني التي تشترك في الدلالة عليها الآيات المفسَّرة والمفسِّرة على حد سواء. مما سنفصِّله بالشواهد التطبيقية في الفقرات التالية:

---

(١) **فتاوى معاصرة** ، القرضاوي :٤٢/١ ، وراجع بدء تفسير الآيتين من ص٣٩ .

(٢) **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، ص٢٥٠- ٢٥١ .

(٣) راجع المزيد من الأمثلة في : **التوكل في ضوء القرآن والسنة** ، القرضاوي ، ص٢٨- ٢٩ ، **والعقل والعلم في القرآن الكريم** ، ص٢٢- ٣٠ ، **فتاوى معاصرة** ، القرضاوي :١٠٧/٣ ، **ودور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي** ، القرضاوي ، ص ١١١ ، **مدخل لمعرفة الإسلام** ، القرضاوي ، ص ٢٣٩.

أولاً : تعامل القرضاوي مع الآية القرآنية بما يُناظرُها من الآيات الأخرى مع التصريح والجزم بأن معنى الآيات المُستَدَل بها جاء مُقرِّرًا ومؤكِّدًا لمعنى تلك الآية المفسَّرة :

يقوم الإمام القرضاوي بتفسير الآية القرآنية ويبسط معناها في موضوعها ويُقرِّر من خلالها ما يُقرِّر من التفسير والمعاني، ثم يذكر آيات أخرى في الآية وتفسيرها بأسلوب الجزم والتصريح والتأكيد والتأييد لما قرره وتُقرِّره، أي لا يأتي بالآيات الأخرى مباشرة وإنما يُمَهِّدُ لها بنصِّه على قوة ارتباطها وقربها من الآية وشدِّة وضوحها في الدلالة على معناها، وفي هذا الأسلوب المنهجي زيادة في الإيضاح والتأكيد للمعاني القرآنية عند المفَسِّر، ومن ذلك:

(أ) ما جاء عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يونس: ٥] . قال القرضاوي : " أعتقد أن القوم ‹ الذين يعلمون › هنا، والذين فصَّل الله لهم الآيات: هم الذين يعلمون علم الفلك. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام:٩٧] وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** ﴾ [الإسراء:١٢] " [١].

(ب) وما جاء تحت عنوان ما نصه : الله وحده خالق كل شيء، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ [الرعد:١٦] . قال القرضاوي: " ... وتلك الخالقية معنى يؤكده القرآن: أن الله هو الخالق وهو خالق كل شيء، وهي من أول ما نزل من القرآن، والفوج الأول التي أنزلها الله على رسوله ﷺ يؤكد هذا المعنى معنى الخالقية ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾ [العلق:١-٤] " [٢].

ففي المثال الأول: نرى القرضاوي المفسِّر قد صرَّح بلفظ ‹ أعتقد › وهو– في نظري – بمعنى أجزم وأتيقن أن المعنى الذي تقصده الآية هو كذا وكذا.. ولم يكتف بذلك، بل قال: ‹ ويؤيد ذلك قوله تعالى ›، ثم ذكر آية أخرى. وفي المثال الثاني: نجده يُثْبِتُ الخالقية لله في ضوء الآية الرئيسية هنا ثم ينطلق ليؤكد معنى الخالقية مرة أخرى بالجزم والتصريح بأوضح وأدل وأول ما نزل من القرآن في الخالقية. وهو أُسلوب منهجي ناجح يسلكه القرضاوي في تفسير القرآن بالقرآن، ويتكرر في دراساته للنصوص القرآنية كثيرًا [٣].

---

(١) **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص١٤٢.

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص١٧٧ .

(٣) للمزيد من الأمثلة في الظاهرة راجع: **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص١٠٤ ، ١٥٣– ١٥٤ ، ١٦٣، ٢٣٨– ٢٣٩ ، ٢٤٥– ٢٤٦ ، ١٧٦– ١٧٧ ، و**العلم والعقل في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص٢٦ ،٨٩ ، و**الصبر في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص١٠٨– ١٠٩، ٦٤، و**التوكل**، القرضاوي، ص١١١، **والتوبة إلى الله** ، القرضاوي ، ص٢٦٤ ، و**فتاوى معاصرة** ، القرضاوي :٥٨٢/٣ ، و**ملامح**

ثانيًا : تعامل القرضاوي مع الآية القرآنية بما يُناظرها من الآيات الأخرى مع عدم التصريح والجزم بأنها جاءت مقررة ومؤكدة لمعنى تلك الآية :

وكما أن الإمام القرضاوي يستدل بالآيات القرآنية تفسيرًا للآية المعنية بالتفسير مع إضفاء ألفاظ الجزم والتصريح والتيقن – كما مرَّ معنا – فإننا نجده يُفسِّر الآية القرآنية بالآيات الأخرى من غير ذكرٍ لتلك الألفاظ التأكيدية ، وإنما يستدل بها مباشرة وبدون مقدِّمات تمهيدية خاصَّة بها وإذا ما ذكر تلك المقدِّمات فهي احتمالية وظنية ، مما يُنبئ عن عدم الجزم والقطع النهائي بأن المعنى المقصود من الآية المعنية هو ما جاءت به الآيات المستدل بها عليها ، أو أنها دليل على ما قرر في تفسيره لها . ومن أمثلة هذا ما يلي :

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُون * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس:٣٧- ٤٠] ،قال القرضاوي : " فهذه المخلوقات والأجرام العظيمة خاضعة لمشيئة الرحمن ، مسخَّرات بأمره جارية بتقديره ، ولعل هذا الخضوع لأمر الله ومشيئته المهيمنة هو المعبر عنه في القرآن بالتسبيح : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٤٤]،" (١).

(ب) وما جاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** ﴾ [الرعد:٣] قال مستدِّلاً على هذه الآية ومفسِّرًا لها: " وفي سورة الأعراف: ﴿ **يَطْلُبُهُ حَثِيثًا** ﴾ [الأعراف:٥٤] كأنما يسارع وراءه ويركض خلفه، وجاء أيضًا : ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾ [الزمر:٥]، ولعل هذا أيضًا مما يُفيد في قضية تكوير الأرض ، وفي آيات أخرى ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ** ﴾ [الحج :٦١] أي يدخل كلاًّ منهما في الآخر، فهما متلاحقان... " (٢).

ففي هذا الدليل على أن من أساليب تعامل القرضاوي مع القرآن بالقرآن هو عدم النص أحيانًا على مدى ارتباط الآيات الأخرى بالآية المفسَّرة وإنما يُشير إلى عدم الجزم أو التأكيد على انطباق المعاني والآيات بعضها ببعض إلى حدِّ القطع بالتفسير والتأويل، وق رأينا أنه في المثالين قد استعمل لفظ " لعل " وأحيانًا يستعمل لفظ "ربما " و " يبدو " وهكذا.. وكلها عبارات – في نظري – غير جازمة ولا توحي بالتأكيد ولا بالقطع بأنها مقرِّرةً لتلك الآيات أو المعاني.

المجتمع المسلم ، القرضاوي ، ص٨٧- ٨٨ ، و**أعداء الحل الإسلامي** ، القرضــاوي ، ص٢٢٠ ، **الحـل الإسلامي فريضة وضرورة** ، القرضاوي ، ص١٠٨ ، و**لماذا الإسلام** ، القرضاوي ، ص١١- ١٢ .

(١) **الإيمان بالقدر** ، القرضاوي ، ص١١- ١٢ .

(٢) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص١٠٧- ١٠٨، وراجــع المزيد من الأمثلة في: **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص١٢٥، و**تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص١٣٤،١٧١- ١٧٢، و**مدخل لمعرفة الإسلام**، ص٢٧٢- ٢٧٣، و**في فقه الأولويات في ضوء القرآن والسنة**، له، ص٤٩.

ثالثًا : الاستدلال بالقرآن على تحديد أحد الاحتمالات التفسيرية التي تنشأ عن تساؤلاته عند تفسيره للآية القرآنية :

من التفنن المنهجي للإمام القرضاوي في التعامل مع القرآن بالقرآن، أنه قد يُفَسِّرُ الآية القرآنية ويُقَرِّرُ المعاني منها بصيغة الاستفسارات وطرح التساؤلات ووضع الاحتمالات، ومن ثم الإجابات بالآيات القرآنية الأخرى وما تحمل في طيَّاتها من المعاني في الموضوع التفسيري نفسه، وهو بهذا الأسلوب كأنما يضع الإشكالية التفسيرية حول الآية القرآنية بصورة نقاط محدَّدة ثم يقوم بمناقشتها قرآنيًا وتفسيريًا، وهذا العمل يُعدُّ من أساليب البحث العلمي الدقيق الذي يتعامل القرضاوي به مع القرآن الكريم وتفسيره في دراساته ، وتلك بعض الشواهد في المعنى.

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُون** ﴾ [الرعد: ٢].

قال القرضاوي تحت عنوان: تسخير الشمس والقمر ومعناه، وهو يفسِّر هذه الآية: ".. وهنا نتساءل لم سخَّر الشمس والقمر؟ إنهما سخرا لنا، لم يذكر القرآن من المسخَّر له الشمس والقمر هنا في هذا الموضع ، ولكنه ذكر في آيات أخرى أن ذلك التسخير لنا ﴿ **وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ [إبراهيم:٣٣] ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ** ﴾ [النحل:١٢] فكل هذه مسخرة لنا. فما معنى التسخير إذن؟ التسخير سوق الشيء قهرًا إلى غاية يقصدها المُسخِّر، أو هو تذليل الشيء وسوقه بعصا القهر، فالشمس والقمر مسخَّران ذلَّلهما الله وسخَّرهما "(١).

(ب) وعند قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿ **كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾، قال: " الأجل المسمى هو الوقت المحدد ، فهل تجري الشمس والقمر إلى وقت محدد هو إكمال الدورة أي الشمس تكمل دورتها والقمر يكمل دورته ثم يعود كل منهما إلى الدوران من جديد دون توقف؟ أم أنهما يدوران لأجل مسمى وهو الأمد الذي قدَّر الله تبارك وتعالى أن تنطفئ فيه الشمس وأن يعتم أو يخسف هذا القمر كما قال تعالى: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** ﴾ [التكوير:١-٣] حينما يأذن الله تعالى بأن يطوي صفحة هذا العالم؟ هذا جائز وممكن أن يكون هذا الأجل هو القيامة عندما تقوم الساعة، وممكن أن يكون الأجل المسمى للدورة المحددة يعود كل منهما من جديد، ولعل هذا هو الأوفق لأن الله قال بعد ذلك: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾ وهذا من جملة تدبير الله عزَّ وجلَّ، تسخير هذه الأجرام لمنفعة الإنسان " (٢).

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٩٢ ، وراجع بعد ذلك : استمراره في تفسير الآية بالآيات الأخرى والمثال في غاية من الدقة والوضوح .

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، ص٩٤ .

فهذا الأسلوب المنهجي حينما يتكرر في الآية الواحدة أكثر من مرة إنما يشير إلى حجم الظاهرة التفسيرية المراد تقريرها عند المفسِّر القرضاوي، ومدى أخذه بهذا الجانب في منهجه التفسيري وبراعته في ذلك. وهذه القضية المنهجية التي استدللنا لها هنا هي من الوضوح والظهور في الشواهد بحيث لا تحتاج إلى تعليق، وهي مطَّردة في تفسيره بكثرة [١].

* * *

المبحث الرابع

التفسير بالقرآن بقدر الامتداد الخارجي والداخلي للآية

رأينا فيما سبق أن الإمام القرضاوي يسلك في منهجه التفسيري للقرآن، طريق الاستدلال على الآية المفسَّرة بآية أو بآيتين أو بضع آيات يكتفي بها في تقرير المعنى القرآني، لكنه هنا يتوسع في ذكر الآيات المفسِّرة على قدر حصول الشبيه والمناظر لها في طول القرآن وعرضه، وهو ما نقصد به في العنوان بـــ " الامتداد الخارجي للآية "، وفي مقابل هذا الامتداد التفسيري نجده – أحياناً – قد سلك النقيض مع هذا الأسلوب فلا يخرج بالاستدلال القرآني على الآية المعنية بالتفسير عن بعضها البعض، فيكتفي بالعيش التفسيري الاستدلالي داخل الآية القرآنية نفسها. وهو الأمر الذي سنفصِّله بالتفسير التطبيقي كما هو عند القرضاوي في الفقرات التالية.

أولاً : ذكره أكبر قدر ممكن من الأدلة القرآنية على الآية أو الآيات في الموضوع الواحد من القرآن مع ذكره لكل دليل قرآني ما يؤيده ويوضحه من الآيات الأخرى :

إذا كان الإمام القرضاوي بصدد تقرير حقيقة قرآنية هامة، وإثبات معنى إسلامي سامٍ، أو بيان ميزة أو خصيصة تشريعية؛ فإننا نجده يحشد الكم الهائل من الآيات القرآنية، ويسرد القدر الممكن من الأدلة والشواهد في تقرير القضية المعنية، الأمر الذي إذا دل فإنما يدل على قدراته المنهجية، وذاكرته الفذَّة، وحافظته الجامعة للنصوص الشرعية، وهذا مثاله:

ما جاء في موضوعه القرآني: مكانة العقل والفكر في القرآن، عند بيانه لدعوة القرآن الكريم إلى التذكر. فقد بيَّن في البداية أن القرآن كما دعا وأكد الدعوة إلى التفكر، فإنه كذلك قد دعا

---

(١) راجع المزيد من الشواهد التفسيرية في هذه الظاهرة ، على سبيل المثـــال لا الحصر في : **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٩٦– ٩٧، ١٤٤– ١٤٦، ٢٢٥– ٢٢٦، ٢٧٠– ٢٧١، ٢٧٦– ٢٨١، و**العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص١٨١– ١٨٢، ٢٣٣– ٢٣٤، و**أعداء الحل الإسلامي**، القرضاوي ، ص١٨١– ١٨٥، و**مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، القرضاوي، ص٢٠٧– ٢٠٩ .

وأكد الدعوة إلى التذكر[١]، ذكر المفسِّر في ذلك العدد الكبير من الآيات القرآنية الذي يمتد ليصل إلى تسع وثلاثين آية في مساحة لا تزيد عن أربع صفحات مازجًا بين الاستدلال بها وتفسيرها[٢]. ثم بعد ذلك وقف عند الصيَغ القرآنية في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾، أو ﴿ **أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾؟ مستدِلاً بمواضع مجيئها في القرآن وحضِّها على التذكر ومفسِّرًا لها تفسيرًا إجماليًا.

حيث قال: " ولقد حضّ القرآن على التذكر في آيات وفيرة بهذه الصيغة الخاصة المحرِّضة : ﴿ **أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾، أو ﴿ **أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ ؟ نقرأ في ذلك قوله تعالى على لسان الخليل إبراهيم في مُحاجة قومه: ﴿ **وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام:٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [السجدة:٤] ، وفي موضع مماثل يقول: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [يونس:٣]، ويقول تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [هود:٢٤]، وفي مقام آخر: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل:١٧]، وفي مقام المحاورة مع المشركين : ﴿ **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النور:١]...

كما بينت الآيات الكريمة أن التذكر كان هو العِلّة المرجوة من كثير مما أنزل الله أو ما فصَّله أو ما بيَّنه من آيات وأحكام، وما صنعه في خلقه من أحوال وأفعال. اقرأ في ذلك: ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النور:١]، ﴿ **ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل:٩٠]، ﴿ **وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة:٢٢١]، ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [٣]...

ومع هذا التخصيص والتحريض، ومع هذا البيان وضرب الأمثال، فإن القرآن يُقرر أنهم قليلاً ما يتذكرون، فالغفلة هي الغالبة، والنسيان هو المتحكم. يقول سبحانه: ﴿ **أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ [التوبة:١٢٦]. ويقول تعالى : ﴿ **اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف:٣]. ويقول عن التوحيد: ﴿ **أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل:٦٢]. ويقول عن القرآن: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الحاقة:٤١-٤٢]... هذه الحملة القرآنية

---

(١) قال القرضاوي : " والفرق بين التفكر والتذكر: أن التفكر يعمل لتحصيل معارف جديدة ، والتذكر يعمل لجلب معرفة قديمة، ذهل عنها، أو غشيتها الغفلة والنسيان " راجع: **العقل والعلم في القرآن الكريم**، ص٥٢.

(٢) راجع : **المصدر السابق** : ص٥٢- ٥٦ .

(٣) سورة **الذاريات** ، الآية :٤٩ ، ثم ذكر بعدها ست آيات من سور مختلفة.

المكثَّفة من أجل الدعوة إلى " التذكر "، والصُّورَ الجمَّة المتعدِّدة، تدلنا على ضرورة التذكر للإنسان في الحياة عامة، وفي الحياة الدينية خاصة " (١) .

نرى في هذا النموذج التفسيري المُطَوَّل أن الإمام القرضاوي قد جمع العدد الوافر من الآيات القرآنية في قضية التذكر في القرآن، حتى إننا رأينا المفسِّر وكأنه قد أحسَّ بوفرة الأدِلَّة القرآنية التي ذكرها هنا وكثرتها وتعددها وتنوعها في معانيها، بل وحضورها القوي في القضية القرآنية، فلفت انتباهنا إلى هذا الحضور الآياتي فسماها وأطلق عليها " الحملة القرآنية المُكثَّفة، والأساليب المتنوعة والصور الجمَّة المتعددة " ومثل هذا الحشد الجمْعي والحصر الشامل والدقيق للنصوص القرآنية يتكرر كثيرًا عند المفسِّر، وهو منهج ناجح في التفسير الموضوعي للمصطلحات والموضوعات القرآنية بالقرآن (٢) .

ثانيًا : تعامل القرضاوي مع القرآن بالاستدلال منه على أول الآية بآخرها وعلى آخرها بأولها ، بمعنى التفسير بالقرآن في إطار وحدود الآية الواحدة :

القرآن الكريم يختم كثيرًا من آيته الكريمة بخاتمات خُلاصيَّة قليلة الحروف والألفاظ لكنها كثيرة المعاني، تختص أحيانًا بأسماء الله وصفاته ومعانيها، وأحيانًا تتضمن قضايا في التفكر والتدبر والتيقن والتذكر تخاطب بها العقل وتحيلها عليه للتعامل والتفاعل معها، أو أنها تحمل أصول وضوابط وقواعد كلية وعامة هي من أساسيات أهداف ومقاصد القرآن الكريم، وفي كل ذلك تأييد وتأكيد لما جاء في الآية القرآنية نفسها من القضايا والمعاني في الإعجاز والهداية.

والمفسِّر البصير هو الذي يستطيع إدراك مهام فواصل الآيات القرآنية وفواتحها وجملها وأولها ووسطها وآخرها والاستفادة من هذا كله في منهجه التفسيري للآيات القرآنية ، وهو العمل التفسيري الدقيق الذي قد فقهه مفسِّرنا القرضاوي في تعامله القرآني، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال:٤٥- ٤٦]، وهو يستدل بها على مجال الصبر حين البأس. قال : " فوضع ستة شروط أولها: الثبات. وخامسها: الصبر، وهما من بابٍ واحد، فلا ثبات بغير صبر. ويؤكد القرآن الأمر بهذه الفاصلة التي ختمت بها الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ ليغري الأنفس به، ويثبت القلوب عليه " (٣).

---

(١) **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، القرضاوي، ص٥٦- ٥٩ ، مع الحذف المشار إليه.

(٢) راجع : المزيد من النماذج التفسيرية بنفس الحجم والمنهج على سبيل المثال لا الحصر في: **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص٢٥٠- ٢٦٥، و**تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٧٥- ٧٩، و**فقه الزكاة**، القرضاوي :١/١٢٧- ١٢٩، و**مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، القرضاوي، ص١٣٠- ١٣١، = =و**الوقت في حياة المسلم** ، القرضاوي، ص٢٠- ٢١، و**المبشرات بانتصار الإسلام**، القرضاوي، ص٢٠- ٢٢، و**الصبر في القرآن الكريم**، ص١١١- ١١٢، ١٠٣- ١٠٥.

(٣) **الصبر في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص٥٣ .

(ب) وما جاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء:١] وهو يستدل بها على مبدأ الإخاء الإنساني في القرآن.

قال القرضاوي : " وما أحق كلمة ‹ الأرحام › المذكورة في هذه الآية أن تُفسَّر بحيث تشمل بعمومها الرحم الإنسانية العامة ، لتتسق مع بداية الخطاب بـــ ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾ ومع ذكر النفس الواحدة التي خلق الله منها جميع الناس رجالاً ونساء ، وهي نفس آدم عليه السلام "(١).

وعند ما جاء يُفسِّر قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة:٢٧٥].

قال القرضاوي: " هكذا قال الممارون والمجادلون بالباطل من أهل الجاهلية، سواء كانوا من المشركين أم من اليهود الذين كانوا يتعاملون بالربا، وهم أساتذة الربا في العالم من قديم ...حتى إنهم جعلوا الربا أصلاً، لم يقولوا: الربا مثل البيع بل قالوا: إنما البيع مثل الربا! وجاء الرد الإلهي القرآني حاسماً قاطعًا كحد السيف، قال: ﴿ **وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ والله لا يحل إلا طيبا، ولا يحرم إلا خبيثا. فلا كلام لمتكلم، ولا تأويل لمتأول، ولا تمحل لمتمحل ﴿ **فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ " (٢).

نرى هذا الأسلوب في التفسير وهذه المنهجية الواضحة في الاستدلال القرآني وفي حدود الآية القرآنية الواحدة ، كما هو واضح في نقلنا من تآليف الإمام القرضاوي وكتاباته المباشرة، فإذا ما علمنا أن النموذج الأخير في هذه الفقرة هو من نتاجه العلمي الشفهي الإلقائي في إحدى خطبه المنبرية وهو بهذا السبك والحبك التفسيري والانتقال المتقن بالمعاني القرآنيـــة داخل جمل الآية القرآنيـــة وتفسير بعضها ببعض، نعلم عند ذلك مدى قدرة ومكانة الرجل العلمية في التفسير وفي المنهجية العلمية الدقيقة في بيان النصوص القرآنية، وكفى بذلك شاهدًا ودليلا (٣).

المبحث الخامس

---

(١) **الخصائص العامة للإسلام** ، القرضاوي ، ص٨٢ .

(٢) **خطب الشيخ القرضاوي** :٣/٨١- ٨٢ ، وانظر : ما بعد هاتين الصفحتين .

(٣) للمزيد من الأمثلة والشواهد في المعنى، راجع في: **الإيمان والحياة**، القرضاوي، ص١٥١، و**مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، القرضاوي، ص١٢٥، و**العقل والعلم في القرآن الكريم**، ص١٤٩- ١٥٠،٢١٦- ٢١٧، و**الصبر في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص٦٦، ١٠١- ١٠٢، و**تفسير سورة الرعد**، القرضاوي ، ص٩٤، ٢٦٢- ٢٦٣، و**التوبة إلى الله**، القرضاوي، ص٢١- ٢٢.

تفسير الآيات القرآنية بالآيات الأخرى ببعض أساليب الجمع

ما مِن آية في القرآن الكريم إلا ولها في القرآن ذاته آيات أخرى، هي أخوات لها في الشبه والنظير والتقارب اللفظي والمعنوي، قلَّ العدد في ذلك أو كثُر. وما مِن معنى لآية قرآنية إلاَّ وله مثيل في معنى آية أخرى، قَرُبَ ذلك المعنى أو بَعُدَ، لذلك لا يستطيع المفسِّر أيًا كانت منهجيته ومقدرته أو كان وقته أن يأتي بكل شبيهٍ ونظيرٍ أو بكل معنىً قريبٍ أو بعيدٍ لهذه الآية أو تلك، فهذا أمر يُواجهه المفسِّر الحافظ الأمين، وأما الأمر الآخر: فإن هناك بعض الآيات القرآنية قد يُفهم ويُتَوَهَم منها لأول وهلة معارضتها وتنافيها واختلافها مع بعض الآيات القرآنية الأخرى، مما يُحتِّم على المفسِّر الفاهم أن يتخذ بعض الإجراءات والتدابير المنهجية والأساليب العلمية في معالجة مثل هذه الأمور، وهو ما نُجيب عليه في هذا المطلب من خلال بعض طرق وأساليب القرضاوي الجامعة في تفسير القرآن بالقرآن فيما له اتصال مباشر بهذا المعنى، كما هو موضحٌ فيما يلي:

أولاً : تعامل القرضاوي مع الآيات القرآنية بما يُناظِرها من الآيات الأخرى بذكر البعض منها بالنص مع الإشارة والاختصار والإحالة على البعض الآخر :

الإمام القرضاوي في مقدمة العلماء المهتمين بالدليل القرآني والحريصين على الاستدلال به بكثافة في تفسير الآية القرآنية قبل أي دليلٍ آخر، ولغزارة النصوص القرآنية في حافظته نجده يُعزِّز الآية القرآنية وفكرتها بمعظم الأدلة القرآنية الأخرى في مجالها ، فهو يذكرها كلها إذا كانت محصورة وقليلة، أو يذكر بعضها وبالقدر الذي يرى فيه الكفاية في القضية التفسيرية، ثم يشير بالإحالة والاختصار إلى البعض الآخر منها، ويحيل القارئ على مواطن مجيئها في سوَرها وموضوعاتها في القرآن، وفي هذا التعامل تعدد في أساليب التفسير. وهذه بعض الأمثلة:

(أ) ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ [الرعد:٧] . قال القرضاوي : " ... لكنهم إذا كذبوا بالحديث كله فما بالهم بالقرآن ؟! وفي القرآن الإسراء أليس آية كونية خارقة ؟ وهو ثابت بالقرآن، وسميت باسمه سورة من كتاب الله بدأت بقول الله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء:١]، وفي القرآن أيضًا المعراج كما أشارت إليه سورة النجم: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى** ﴾ [الآيات:١٣-١٦]، وإنزال الملائكة في بدر والخندق وحنين، وإنزال جنود غير مرئية في رحلة الهجرة: ﴿ **فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [التوبة:٤٠] إلى آخر هذه الآيات المذكورة في القرآن الكريم " (١).

(ب) وما جاء تحت عنوان: كل الأنبياء آتاهم الله العلم عند الحديث عن محمد خاتم الرسل ﷺ، عند استدلاله بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْـلَمُ وَكَانَ**

---

(١) **تفسير سورة الرعد**، ص١٣٩- ١٤٠.

فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء :١١٣] . فبعد أن ذكر القرضاوي هذه الآية ذكر بعدها ثلاث آيات ، مبيِّنًا فيها خطاب الله تعالى لمحمد الرسول الخاتم ﷺ [١]، ثم قال بعدها: " وفي أربع آيات من كتاب الله ‹ في البقرة، وآل عمران، والجمعة › [٢]، بيَّنت أن من وظيفته عليه الصلاة والسلام: تلاوة آيات الله، وتزكية الأمة، وتعليمهم الكتاب والحكمة، وزادت آية منها: ﴿ **وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:١٥١]، "[٣].

وعند حديثه عن حقيقة البرِّ أو التَّدَيُّن، الذي ينشده القرآن مُسْتَدِلاً بقوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ – ذَكَر الآية إلى آخرها** ﴾ [البقرة:١٧٧].

قال القرضاوي : " ومن قرأ أوصاف عباد الله، المقبولين عنده في القرآن، سواء سماهم المؤمنين أم المتقين، أم عباد الرحمن، أم أولي الألباب، أم غير ذلك: عرف بيقين ماذا يحب الله من عباده وأوليائه. أنها صفات تتعلق كلها بجوهر الإنسان لا بشكله، اقرأ في ذلك – إن شئت– أوائل سورة البقرة، أو أوائل سورة الأنفال، أو أوائل سورة المؤمنون، أو أواخر سورة الفرقان، أو أواسط سورة الرعد، وغيرها: تعرف حقيقة الإنسان الذي ينشده القرآن " [٤].

فمن خلال النماذج التفسيرية السابقة يتبين كيفية استعمال الإمام القرضاوي لهذا الأسلوب أو التعامل القرآني ، في إطار القرآن ، حيث جمع فيه بين ذكر الآيات القرآنية المفسِّرة أحيانًا ، أو ذكر بعضها مع الإشارة والإحالة إلى البعض الآخر مما رأيناه في الشواهد جليًا ، سواء على مستوى السور أو الموضوعات أو الآيات القرآنية ، أو على مستوى ذكر أعداد الآيات المعنية وأرقامها في سورها[٥].

ثانيًا : تعامل القرضاوي مع الآيات القرآنية بالآيات الأخرى ببيان عدم التعارض والتنافي بينها ، والجمع بين التي توحي بالاختلاف ، وإزالة توهم الإشكال في فهم معانيها :

---

(١) راجع : **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص ٨٨ .

(٢) سورة **البقرة**، الآية : ١٢٩، ١٥١، و**آل عمران** ، الآية: ١٦٤، و**الجمعة**، الآية : ٢.

(٣) **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، ص٨٨ .

(٤) **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، ص٨٨ .

(٥) وللمزيد من الأمثلة التفسيرية في المعنى، راجع على سبيل المثال: **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص ١٠٧،٢٤٢، ٢٩٣، و**العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص٨٢، و**التوبة إلى الله**، القرضاوي، ص ٧٤، و**الحلال والحرام في لإسلام**، القرضاوي، ص١١٧–١١٨، و**السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة**، القرضاوي، ص١٤١– ١٤٢، و**في فقه الأولويات في ضوء القرآن والسنة**، القرضاوي، ص١٨٢– ١٨٣، و**الصبر في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص٤١، و**مدخل لمعرفة الإسلام**، القرضاوي، ص ٢٣٤– ٢٣٥، **موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى**، القرضاوي، ص١٢–١٣، و**الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف**، القرضاوي، ص٦٧.

من أساليب الإمام القرضاوي في التعامل مع القرآن أنه يعمد إلى تطبيق منهجية الجمع بين النصوص القرآنية الموهِمة للتعارض والاختلاف والتنافي فيما بينها، فيجمع ويُوفق بين معانيها، ويُثبت من خلال ذلك الجمع أو التوفيق عدم التضاد والتنافر المُتَوَهَم بين الآيات " لأن الأصل في النصوص الشرعيـــة الثابتة: ألا تتعارض؛ لأن الحق لا يُعارض الحق " كما يقول القرضاوي نفسه [١]، فإذا كان هذا قائمًا بين النصوص الشرعية الثابتة بعامة، فكيف به بين النصوص القرآنية بخاصة، وهي عملية تفسيرية ليست بالسهلة، فلا يقدر عليها إلا صاحب قدم راسخة في التعامل مع القرآن، وخبير بمعالجة النصوص الموحية بالتباعد اللفظي أو المعنوي، وهو الأمر الثاني الذي أشرنا إليه في بداية المطلب، وهذه بعض الأمثلة والشواهد في القضية:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة:١٧٢-١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ **قُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الأنعام:١٤٥] .

فسَّر القرضاوي هذه الآيات وربط بين معانيها ومما قال: " وفي سورة المائدة ذكر القرآن هذه المحرمات بتفصيل أكثر فقال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** ﴾ [الآية :٣] . ولا تنافي بين هذه الآية التي جعلت المحرمات عشرة، والآيات السابقة التي جعلتها أربعة، إلا أن هذه الآية فصلت الآيات الأخرى، فإن المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، كلها في معنى الميتة، فهي تفصيل لها، كما أن ما ذُبح على النُّصُبِ في حكم ما أُهِلَّ لغير الله به، فكلاهما من بابٍ واحدٍ، فالمحرمات أربعة بالإجمال، عشرة بالتفصيل " [٢].

(ب) ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ..** ﴾ [الجن:٢٦-٢٧] . قال القرضاوي : " ولا تنافي هذه الآيةَ الآيةُ الأخرى وفيها يُخاطب الله رسوله بقوله : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٨]. فإن هذه الآية تدل على أنه لا يعلم الغيب بنفسه ومواهبه الخاصة، والآية الأخرى تدل على أنه لا يعلم منه إلا ما أظهره الله عليه " [٣].

---

(١) **كيف نتعامل مع السنة النبوية؟**، القرضاوي، ص ١٣٣، و**المدخل لدراسة السنة** ، القرضاوي، ص١٤٧.

(٢) **الحلال والحرام في الإسلام** ، القرضاوي ، ص٤٣ .

(٣) **السنة مصدراً للمعرفة والحضارة** ، القرضاوي ، ص٩٩ .

وعند تفسير قوله تعلى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم:٦-٧] . قال القرضاوي : " فانظر كيف نفى الله عنهم العلم بقوله: ﴿ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ولا يُناقض هذا الإثبات ذلك النفي، لأن هذا النوع وهذا المستوى من العلم – العلم بظاهر من الدنيا مع الغفلة عن المصير – هو علم أشبه بالجهل. فلا عجب أن يُوصف أصحابه بأنهم لا يعلمون" (١).

النماذج التفسيرية هي في غاية من الدقة والوضوح في الدلالة على انتهاج القرضاوي في دراسته للنصوص القرآنية المُوهِمة للتعارض أسلوب الجمع والتوفيق وإزالة الإشكال في معناها.

بهذا يتبين لنا منهج القرضاوي وأساليبه التفصيلية في التعامل مع الآيات القرآنية في ضوء الآيات القرآنية الأخرى . وهي طرق وأساليب تُمثِّلُ طرفًا أو جانبًا مهمًا من منهجه في تفسير القرآن بالقرآن ، أما الطرف أو الجانب الثاني من منهجه في تفسير القرآن بالقرآن فهو اعتماده في تفسير آياته على بعض قضايا علوم القرآن وتفسيره ، كما هو في المبحث التالي:

الفصل الثالث

تعامله مع القرآن بالقرآن بالاعتماد على بعض قضايا علومه

تمهيد المبحث :

هذا المبحث – كسابقيه – يَصبُّ في كيفية تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن بالقرآن ؛ لكنه يختلف عنهما في الإجراءات والمعالجات والأساليب التفسيرية التي تتبعناها في ثنايا التعاملات القرضاوية المتعدِّدة مع النَّصِّ القرآني، وهو جديد في مجاله ودراسته بالنسبة للدِّراسات المماثلة في مناهج المفسِّرين، جديد من حيث الدِّراسة والطرح والكشف المنهجي عنه؛ ولذلك رأينا إفراده بالشرح على استقلال .

ويظهر من خلال النظر في المادة العلمية المعنية بالدِّراسة أن المفسِّر المتمكن في علوم القرآن وتفسيره، والباحث المؤهل في منهجه العلمي، هو الذي يَعْمد في تعاملاته مع القرآن الكريم إلى الاستفادة من ذلك التمكن أو التأهل، ومن كل تلك الأساليب والطرق التفسيرية (٢) المؤدية إلى إيصال المعنى القرآني الصحيح، ومن ثم الإفادة الضرورية واللازمة من تلك الإمكانات العلمية والمنهجية، المستقاة من تلك العلوم في تفسير القرآن.

---

(١) **الرسول والعلم** ، القرضاوي، ص٣٩، وانظر بعض الأمثلة الأخرى في ذلك: **الحلال والحرام في الإسلام**، القرضاوي، ص ٢٩٠- ٢٩١، **النية والإخلاص**، القرضاوي، ص١٦- ١٨، و**فتاوى معاصرة**، القرضاوي :٢/٢٤٩-٢٥٢ ، ٤٥٢- ٤٥٣، و**الإسلام وحضارة الغد**، القرضاوي، ص١٨٢.

(٢) انظر : بعض تلك الأساليب والطرق في تفسير القرآن بالقرآن ، المبحث السابق قبل هذا.

فيُفَسِّر القرآن بالاعتماد على علوم القرآن، أمثال : أسباب النزول[١]، والمكي والمدني، وأول وآخر ما نزل، والناسخ والمنسوخ منه [٢]، والمحكم والمتشابه [٣]، والقراءات القرآنية فيه، والقصص والمواقف القرآنية بعضها ببعض، ليزيد التفسير بهذه العلوم والمعلومات تأكيداً ووضوحاً وتقوية في بيان المعنى، ويؤكد الحق المراد منه، ويَرُدَّ الشبه ويدفعها عنه.

والمفسِّر المجدِّد هو الذي يجد الدارسون المتخصِّصون والقارئون المستفيدون – فيما فسَّر وكتب – منهجًا علميًا رصيناً متنوعاً ومتعدِّداً، ومتَسَعاً رَحْباً لإشباع ما يجول في خاطرهم، وطرح رؤاهم ونظراتهم التجديدية نحو دراسة كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

ويوم لا يستفيد المفسِّر ولا يفيد من مكونات علوم القرآن الأساسية، والإضافات العلمية المعاصرة عليها، ومن مناهج البحث العلمي الحديث في دراساته لكتاب الله تعالى، يوم لا يفعل ذلك لا يكون مؤهلاً أصلاً للتعامل مع القرآن العظيم، ولا يستحق أن ينال شرف بيان القرآن بياناً أثريًا أو تحليليًا أو موضوعياً، أو كان جمعًا بين تلك البيانات على سواء، ناهيك أن يُفيد أو يَفيد، أو يزداد الباحثون منه منهجًا وعلماً.

لكن الإمام القرضاوي هو ذلك المفسِّر المتمكن، والعالم البصير، والباحث المؤهل، والمنهجي المجدِّد الذي استفاد من كل معارفه، في علوم القرآن والتفسير بخاصة، وعلوم السنة والسيرة الإسلامية بعامة، في تعامله مع القرآن الكريم وتفسيره، أوالاستدلال منه.

ومَنْ ينظر إلى تفسيره للآيات القرآنية أو الاستدلال منها، وكيفية استخداماته لبعض علوم القرآن في بيان وتفسير القرآن، يعلم يقيناً جديَّة تلك الاستفادة وجدواها في التفسير، وأن تلك الاستفادة هي في الأصل استفادة نوعيَّة وليست كمية، بحيث وجدناه لا يخوض في تلك العلوم القرآنية والتفسيرية إلا بالقدر الذي يحقق به المعنى ويعتقد أنه من صميم التفسير القرآني، وليس أدل على ما يقال في المفسِّر أو يُوصف به مما جاء في دراساته القرآنية والتفسيرية، وعليه ، سيكون حديثنا في هذه المعاني والتأكيدات فيما نفصِّله في المطالب الثلاثة التالية :

---

(١) درست هذه القضية بالتفصيل في **المبحث الأول من الفصل الرابع في الباب الأول من رسالة للدكتوراه.**

(٢) درست هذه القضية بالتفصيل في **المبحث الأول من الفصل الخامس في الباب الأول** من رسالتي للدكتوراه.

(٣) درست هذه القضية بالتفصيل في **المبحث الأول من الفصل السادس في الباب الثاني** من رسالتي للدكتوراه.

المبحث الأول

تعامله مع القرآن بالقرآن باعتبار المكي والمدني فيه

العلم بالمكي والمدني في القرآن الكريم يُعدُّ من علوم القرآن الأساسية، و معرفته من العلوم الضرورية واللازمة في العملية التفسيرية [١]، إذْ بهذا العلم يقف المفسِّر على ما نزل من القرآن في العهد المكي وما نزل منه في العهد المدني، فينطلق في تفسير الآية على هذا الأساس خصوصًا عند الضرورة التفسيرية الداعية إلى بيان الآية القرآنية، ومن ثم الاستدلال عليها بالآيات الأخرى، بوصف هذه الآيات المستدل لها أو بها مكية أم مدنية ؟، نزلت قبل أم نزلت بعد؟، وذلك حتى يتدرج المفسر بالمعنى أو الموضوع القرآني بدءًا مما جاء فيه وهو في العهد المكي وانتهاءً بما جاء فيه وهو في العهد المدني، وفي ذلك استبانة للمعنى القرآني أيما استبانة.

ولقد كان الإمام الشاطبي في قمة الفهم والصواب حين نبهنا إلى مثل هذه القضية القرآنية ، فقال : " المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكي ، وكذلك المكي بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل ، وإلا لم يصح ، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه ..." [٢].

وكم كان الإمام القرضاوي واعياً في إصراره النظري والتطبيقي على تنزيل وترجمة هذه القضية المنهجية واقعاً ملموساً في دراساته للآيات القرآنية، لذلك رأيناه قد انتهج في تفسيره القرآن بالقرآن هذا النهج والأسلوب التفسيري وأولاه عنايته واهتمامه، في أكثر من موضع في دراساته القرآنية، وكتاباته الفقهية والفكرية، تحقيقاً لتلك المعاني وغيرها من المعاني المترتبة على هذا العلم في تفسير القرآن، مما نفصِّله بالشرح والتطبيق في الفقرات التالية:

أولاً : أهمية معرفة المكي والمدني من السُّوَر والآيات في تفسير القرآن عند القرضاوي ومكانته في ذلك :

لمعرفة المكي والمدني في القرآن عند المفسِّر الفقيه أهمية عُظمى في تفسير السورة أو الآية، وأثرٌ مباشِرٌ في فهم وتحديد معانيها على التعيين. ولهذا وجدنا القرضاوي في بدء تفسيره لسورة الرعد يعقد مبحثا مُصغَّرًا حول إثبات مكِّيَّة هذه السورة أو مدنيَّتها، وذلك حتى يستطيع الوقوف على تفسير السورة، ويبدأ رحلته معها في البيان والتحليل والتدبر على أساس من التحقق والتأكد، وعليه فقد أثبت مكِّيَّتها بالمناقشة والدليل، الأمر الذي يشير إلى سمو مكانته في هذا العلم.

---

(١) راجع : العلم بالمكي والمدني من القرآن الكريم، وأهمية معرفته، وأنواعه ، ووجوهه ، وفروقه ، وضوابطه، وفوائده ، في : **الإتقان في علوم القرآن** ، السيوطي :١/٢٧- ٥٢ ، و**مناهل العرفان في علــوم القــرآن** ، الزرقاني :١/١٣٥- ١٤٤ .

(٢) **الموافقات في أصول الشريعة** ، الشاطبي :٣/٤٠٦ .

ومما قال تحت عنوان : مكية أو مدنية ؟ : " الاختلاف كبير في المكي والمدني ، ولا يخلو من خلل كثير ، فكثير من السور التي يقال عنها مدنية إذا قرأتها داخلك إحساس أنها غير مدنية ، ومنها سورة الرعد وسورة الإنسان ، ومن يقرأ هذه أو تلك يستيقن أنها مكية " (١).

ومعرفة الفرق بين القرآن المكي والمدني في نظره إنما ترجع إلى السورة نفسها وموضوعها وسياقها القرآني " (٢). وفي هذا إشارة إلى الآية الأخيرة من سورة الرعد والتي أثبت بالرواية والسياق الموضوعي أنها مكية وليست مدنية ، وإن كان فيها ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾ [الرعد:٤٣].

وعليه " فالتمييز بين القرآن المكي والقرآن المدني يظهر عند قراءة السور، والذي يقرأ سورة الرعد يحس ويستيقن أنها سورة مكية ، فموضوعها مكي، وأسلوبها مكي، ونَفَسُها مكي، ومن يتذوق القرآن لا يشك في أن هذه السورة مكية، ثم إن السور التي قبلها وبعدها مما بدأ بأحرف ‹ الر › كلها مكية ، وهذه حلقة من هذه السلسلة ، أو هذه الزمرة ، وإن زيد في أولها ميم لحكمة يعلمها الله ‹ المر › " (٣).

وكذلك من المعايير والموازين التي يُرجع إليها في معرفة القرآن المكي من القرآن المدني هو معيار الزمان وليس المكان " فالمقصود بالمكي والمدني – كما يقول القرضاوي – : الزمان لا المكان " (٤) . لذلك راح القرضاوي يُثبت زمنيَّة نزول هذه السورة رابطاً إيَّاها بأخواتها وما جاورها من السور القرآنية الأخرى التي قبلها أو بعدها، ذاكراً بعض الملابسات والظروف التي أحاطت بالرسول ﷺ فكانت من مسوِّغات وأسباب نزولها (٥).

ثم قام القرضاوي بعد ذلك بسرد الكثير من الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى من واقع السور التي ذكرها مع التفسير والربط المحكم بين مناسبات تلك الآيات و السور القرآنية من جهة ، وبين ذلك وسورة الرعد وآيات الرعد من جهة أخرى ، مبيِّنا الوحدة الموضوعية بين تلك السور والآيات جميعها (٦) .

حتى قال في شأن هذه السورة : " وسورة الرعد منذ أول آية تمشي في هذا الاتجاه ففيها دفاع عن النبوة وتأكيد لأحقِّيَّة القرآن وبيان لما بعث الله به محمدًا ﷺ من الحق المطلق ورد على أولئك الذين يطلبون الآيات الحسيَّة فيقولون ﴿ **لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ..** ﴾ [الرعد :٢٧،٧] ، في

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٥٦، ثم ذكر الروايات وناقشها بعد ذلك.

(٢) راجع **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص ٥٧ .

(٣) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٥٨ .

(٤) **المصدر السابق** ، ص ٥٧ .

(٥) راجع : **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي ، ص٥٨– ٥٩ .

(٦) راجع : **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٥٩ .

أكثر من موضع في هذه السورة، فبسط الله لهم من آياته الكونية ما فيه عظة وعبرة، ورد عليهم بردود مختلفة في أنحاء السورة " [١]. أي مثل موضوعات تلك السِّور بالسَّوَاءِ والتمامِ.

ولم يقف القرضاوي عند التحقيق في قضية المكية والمدنية حول سورة الرعد ، بل ذهب ليشير بسرعة خاطفة إلى قضية أخرى وهى إخراج بعض الآيات القرآنية واستثنائها من داخل سوِرَها المكية لتكون مدنية ، فقال : " أما استثناء بعض الآيات من السور المكية لتكون مدنية ، ففي النفس منها شيء ، وتحتاج إلى تمحيص وتحقيق في كل ما يستثنى ، فأحياناً يستثنون آية ، ويعجب المرء لماذا استثنوها ، وهي شديدة التعلق بما قبلها وبما بعدها في التحام وثيق ؟! " [٢].

والقرضاوي عندما يبحث في قضية ما أو يُناقشها أو يُنظِّرُ لها فإنه رجل الإثبات بالدليل العملي فهنا يقول: " مثلما استثنوا من سورة المرسلات المكية آيتها الثامنة والأربعين وقالوا: إنها مدنية [٣]، والآية تقول ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ** ﴾ وقبلها : ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾، وبعدها ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ فهل كان السياق قبل نزول الآية ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ ؟! لا، فهذا يُخالف ما قامت عليه السورة " [٤].

ولأهمية المكي والمدني في القرآن الكريم ، وضرورة معرفته للمفسِّر والباحث المتخصص فإننا قد وجدنا القرضاوي يتجه بالخطاب – بعد ذكره لهذا المثال– إلينا جميعًا وبخاصة من لهم صلة التعامل المباشر مع القرآن الكريم ، بالفهم والتفسير والاستدلال، حيث قال : " فينبغي أن نحرص ونتحرى ونُدقِّقَ في المكي والمدني، ومسألة استثناء آية أو آيات من السور، فبعض هذا يكون تبعاً لروايات حول أسباب النزول كثيراً غير محققة وغير صحيحة " [٥].

ومن خلال هذه النقولات عن الإمام القرضاوي في هذه الجزئية نعلم يقينًا أهمية معرفة القرآن المكي والقرآن المدني في عملية التفسير ، وكذلك مقدار تمكن هذا العالم الجليل وإمساكه بزمام هذا العلم القرآني ، وأنه لم يكن ناقلاً للمأثور أو التراث الماضي فحسب ، بل ناقلاً منه ، وناقدًا بصيرًا ومناقشًا جديرًا له ، ومضيفًا علماً جديدا عليه.

ولكن، لماذا هذا التحقيق والتدقيق والتتبع من قبل القرضاوي في السُّور والآيات القرآنية المكية والمدنية ؟ وبالصورة التي رأينا حول سورة الرعد بخاصة ، وبعض السور والآيات الأخرى بعامة ؟. فلا بد أن هناك فلسفة في عقليته التفسيرية تكمن وراء هذا الاهتمام ، وتفسِّر لنا هذه العناية . والفقرتين التاليتين – وما بعدهما – تتوليان الإجابة عن هذا التساؤل.

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص ٥٩ .

(٢) **المصدر السابق** ، ص ٥٨ .

(٣) راجع : **الإتقان في علوم القرآن** ، السيوطي :٤٨/١ ، و**روح المعاني** ، الألوسي :١٦٩/٢٩ .

(٤) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٥٨ ، وراجع : **روح المعاني** ، الألوسي :١٦٩/٢٩ .

(٥) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٥٨ .

ثانيًا : عناية القرضاوي بما نزل في العهد المكي وما نزل في العهد المدني عند التفسير والاستدلال بيانًا لتدرج التشريع :

ظهرت عناية الإمام القرضاوي بما نزل من القرآن في العهد المكي وما نزل منه في العهد المدني في تفسيره للآيات القرآنية التشريعية، وفي بيانه التفصيلي لدرجات السلَّم التشريعي وتدرجه في القضية القرآنية الواحدة في التحليل والتحريم من خلال تلك الآيات المتتابعة في العهدين، وهو أحد مسوِّغات اهتمامه بهذا العلم، وهذه بعض الأمثلة التفسيرية في المعنى المراد تقريره :

(أ) ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [الشورى:٣٨] . وهو يستدل بها على وجوب الشورى وكيفية تشريعها.قال : " فجعل الشورى قرينة للاستجابة لله ، وإقام الصلاة ، والإنفاق مما رزق الله ، وذلك في العهد المكي، وهو عهد تقرير المبادئ والأصول، والطابع العام لأسلوبه هو الوصف مدحًا وثناءً، أو ذمًا وتقريعًا. وفي العهد المدني نزل قوله تعالى: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ** ﴾ [آل عمران:١٥٩] ولما كان العهد المدني عهد تشريع وتنظيم للمجتمع الإسلامي، فقد اتخذت الآية أسلوب الأمر، وكان الطابع العام هو الأمر والنهي. ومما يجدر بالأمر أن هذه الآية نزلت بعد غزوة أحد التي استشار النبي ﷺ فيها أصحابه: أيقعد أم يخرج إلى العدو؟ فأشار عليه جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج ولم يكن ذلك من رأيه، وكانت العاقبة قتل سبعين من الصحابة في سبيل الله. ومع هذه النتيجة نزلت الآية تؤكد الشورى وتأمر بها ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ** ﴾ أي دم على مشاورتهم، ولا يمنعنك ما حدث من المشاورة، فما ندم من استشار " [(١)].

فهنا نرى تفسير القرضاوي القرآن المكي بالمدني منه في موضوع الشورى، فالآية المكية في المعنى بدأت بتقرير وتأسيس المبادئ على سبيل الثناء والوصف الحسن، والآية المدنية انتقلت بالشورى إلى التشريع والتنظيم وأسلوب الأمر والنهي، فالمفسِّر لا يكتفي هنا بذكر المكي والمدني من القرآن فحسب، بل يعمد إلى بيان التدرج التشريعي من خلال العهدين والآيتين معًا.

(ب) ومنه ما جاء في تفسيره الفقهي المستفيض حول عناية القرآن بعلاج الفقر في العهدين: المكي والمدني، وقد جاء حديثه في هذه القضية بأسلوب الاستقراء لمعظم الآيات والسور والمقاطع القرآنية وأساليبها المتعدِّدة والمتدرجة في التشريع منذ العهد المكي وإلى العهد المدني، جامعًا في ذلك بين التفسير والاستدلال والاستنباط بأسلوب هو غاية من الدقة والأهمية، ونحن بدورنا نقتطف بعض الجزئيات من كلامه – بما يفي بالغرض – مشيرين إلى البعض الأخر.

قال القرضاوي تحت عنوان: **عناية القرآن بعلاج الفقر منذ العهد المكي** : " .. كان هذا الجانب الإنساني الاجتماعي – جانب رعاية الفقراء والمساكين – موضع عناية بالغة ، واهتمام مستمر، من القرآن الكريم. ذكره القرآن أحيانًا باسم إطعام المسكين والحضِّ عليه، وأحيانًا تحت عنوان الإنفاق مما رزق الله، وتارة باسم أداء حق السائل والمحروم، والمسكين وابن السبيل،

---

(١) **فقه الزكاة** ، القرضاوي :١٠٨٥/٢– ١٠٨٦ .

وطورًا بعنوان إيتاء ‹ الزكاة ›، وغير ذلك من الأسماء والعناوين. وحسبنا أن نقرأ في السور المكية هذه النماذج من آيات الكتاب العزيز " (١)، ثم بسط النماذج. وهذه خلاصة إشارية إليها.

فتحت عنوان : **إطعام المسكين من لوازم الإيمان** ، ذكر نموذج سورة ‹ المدثر › في الآيات: من الثامنة والثلاثين إلى السادسة والأربعين، وذكر نموذج سورة ‹ القلم › في الآيات: من التاسعة عشر إلى الثالثة والثلاثين. وتحت عنوان: **الحض على رعاية المسكين**، ذكر نموذج سورة الحاقَّة، في الآيات: من الخامسة والعشرين إلى الرابعة والثلاثين، وذكر في هذا نموذجي سورتي " الفجر " و " الماعون ". وتحت عنوان: **حق السائل والمحروم والمسكين وابن السبيل**، ذكر نموذج سورة الذاريات، ونموذج سورة " المعارج " في الآيات: من التاسعة عشرة إلى الخامسة والعشرين، بإضافة كلمة ﴿ **مَّعْلُومٌ** ﴾ زيادة على آية الذاريات المشار إليها سابقًا (٢).

حتى قال معقباً على هذه المجموعة الأولى من النماذج في القرآن المكي: " وبهذا غرس القرآن في روح المسلم منذ أوائل العهد المكي، أن للقريب والمحتاج " حقه " المحتوم في ماله، يجب عليه أداؤه وجوبًا، وليس مجرد صدقة تطوعية، يدفعها إن شاء، ويتركها متى شاء"(٣).

ثم بعد ذلك انتقل القرضاوي بقضية الزكاة – طبقًا للآيات القرآنية – إلى مرحلة أكثر إلزامية مما جاء في النماذج السابقة، والحال لازال في القرآن المكي، فتحت عنوان: **حق الزرع عند الحصاد**، يذكر من سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الآية :١٤١] .

قال في تفسيرها: " فنبه الله عباده بهذه الآية على أن فيما تخرج الأرض من زرع وثمر حقًا لازماً، يجب إيتاؤه يوم الحصاد – إلى أن قال – هذه جملة من أساليب القرآن المكي، في الدعوة إلى رعاية الفقراء، والمساكين، وإيتاؤهم حقوقهم من المال، حتى لا يضيعوا في مجتمع من المؤمنين. وقد تُوِّجت هذه الأساليب بأسلوب آخر هو ‹ إيتاء الزكاة › ثناء على فاعليها أو ذمًا لتاركيها، كما نرى ذلك واضحًا في مجموعة من سور القرآن المكية " (٤).

فيذكر ما جاء في المعنى من الآيات في سورة ‹ الروم ›[الآيتان:٣٨-٣٩] ، وفي مطلع سورة ‹ النمل ›[الآيات:١- ٣]، وفي مطلع سورة ‹ لقمان ›[الآية :٤] ، وفي سورة ‹ المؤمنين ›[الآية :٤]، وفي سورة ‹ الأعراف ›[الآيتان :١٥٦-١٥٧]، وفي سورة ‹ فصلت ›[الآيتان:٦- ٧]. ذكر هذه الآيات القرآنية وفسَّرها فقهياً كل على حدة مبيناً نوع التشريع وتسلسله وتدرجه فيها (٥). وبعد ذلك عقَّب على

---

(١) **فقه الزكاة** ، القرضاوي:٥٢/١ .

(٢) راجع : التفسير التفصيلي المترابط لهذه النماذج في ، **فقه الزكاة**، القرضاوي :٥٣/١- ٥٧ .

(٣) **فقه الزكاة** ، القرضاوي:٥٧/١.

(٤) **فقه الزكاة** ، القرضاوي :٥٧/١- ٥٨ .

(٥) راجع : **فقه الزكاة** ، **القرضاوي** :٥٨/١- ٦٠ .

الجميع ليخلص إلى: " أن الزكاة التي ذكرت في القرآن المكي، لم تكن هي بعينها الزكاة التي شُرعت بالمدينة، وحُددت نصبها ومقاديرها، وأُرسل السُّعاة لجبايتها وصرفها، وأصبحت الدولة مسؤولة عن تنظيمها. الزكاة في مكة كانت زكاة مطلقة من القيود والحدود، وكانت موكولة إلى إيمان الأفراد وأريحيتهم وشعورهم بواجب الأخوة نحو إخوانهم من المؤمنين. فقد يكفي في ذلك القليل من المال، وقد تقتضي الحاجة بذل الكثير أو الأكثر " (١).

ورأينا القرضاوي بعد ذلك قد عقد عنوانًا ما نصه: **القرآن المدني يؤكد وجوب الزكاة ويبين بعض أحكامها**، مستدلاً بالآيات القرآنية في المجال ومفسِّرًا لها تفسيراً فقهيًا تحليلياً وموضوعياً، ومتخذًا سورة التوبة نموذجاً للقرآن المدني في العناية بالزكاة، فقال : " جاء القرآن المدني فأعلن وجوب الزكاة بصيغة الأمر الصريح، ودعا بصورة واضحة إلى إيتائها، فترى في سورة البقرة، هذه العبارة: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾[البقرة:١١٠]. كما جاء تأكيد وجوبها بصيغ وأساليب شتى. والمجال هنا فسيح، ولكني (٢) أختار سورة واحدة لعرض أهم ما جاء فيها عن الزكاة، وهي سورة ‹ التوبة ›؛ لأنها من أواخر ما نزل من القرآن " (٣).

ثم استمر بعد ذلك في تتبع أهم المواضع المعنية بالزكاة في هذه السورة الكريمة، فقدمها في موضوع تفسيري استدلالي هو غاية من الدقة والإحكام في مجال تفسير القرآن بالقرآن على مستوى وإطار السورة القرآنية الواحدة، وفي مجال الاهتمام بالمكي والمدني في القضايا التشريعية، بل وبوصفها السورة المدنية التي اختارها كنموذج مباشر في تأكيد معاني وقضايا تلك السور والآيات القرآنية المكية المتعلقة بالزكاة والتدرج في تشريعها (٤).

حتى قال في نهاية تفسيره للسورة : " ذلك أهم ما جاء في سورة التوبة عن الزكاة ، وهي تمثل بوجه عام اتجاه القرآن المدني، في تأكيد وجوب الزكاة وبيان أهم أحكامها " (٥).

ففي هذه الدراسة القرضاوية المستفيضة لعناية القرآن المكي والمدني بموضوع الزكاة، والاستدلال القرآني المكثف على تلك العناية والحفاوة القرآنية به، بحيث جاء به المفسِّر في دراسته ليُمَثِّل الاستدلال والتفسير الزماني والمكاني، والبيان للتدرج التشريعي القرآني في فريضة الزكاة . وهو أيضاً الدليل الوافي والكافي على عناية القرضاوي المفسِّر واهتمامه بهذا الجانب من التعامل مع القرآن في ضوء القرآن، وبهذه المنهجية، ومَن يُلاحظ وضعه للعناوين الجانبية للمادة القرآنية والتفسيرية المعنية بالقضية، ويُدرك مضمونها وما حوت من النقولات الذاتية وغير الذاتية، يعي

---

(١) **فقه الزكاة** ، القرضاوي :١/٦٠– ٦١.

(٢) الكلام هنا للقرضاوي .

(٣) **فقه الزكاة** ، القرضاوي :١/٦٢ .

(٤) راجع : **فقه الزكاة** ، القرضاوي :١/٦٢– ٦٨.

(٥) **المصدر السابق** :١/٦٨.

جيِّدًا، كيفية تنَقُّل وتسلسل قضية الزكاة في تشريعها، ويقف على منهجيته المتميزة في التفسير والتعامل القرآنيُّ القرآني .

ثالثاً : عناية القرضاوي بما نزل في العهد المكي وما نزل في العهد المدني عند التفسير والاستدلال لأجل الدفاع عن القرآن بالقرآن ورداً ودفعاً للشبهة عنه :

وهناك أيضاً شُبَهٌ تتساقط على القرآن الكريم وتشريعاته، وتُصيب أذهان بعض المسلمين، في كل زمانٍ ومكان، يتولى كبر إفكها رماتُها، أعداء القرآن والمتحاملين عليه، لكن القرآن الكريم حَمَلَ في طيَّاته وسائل الرَّدِّ والصَّدِّ الحازم، فيدفعها بالقرآن أيضاً. وعلماء القرآن وخبراؤه الرَّاسخون في العلم، يعلمون ذلك بحق، فيستنبطون منه تلك الدِّفاعات الأساسية الذاتية، ليجعلوها في وجوه أولئك الوشاة وما صنعوا. ومن هؤلاء العلماء والخبراء عالمنا القرضاوي المفسِّر، فجهوده في المجال لا تخفى على المتخصصين والمثقفين [١].

ومن عناية القرضاوي بالدفاع عن القرآن ورد الشبه عنه بالقرآن نفسه، في مجال اهتمامه بالقرآن المكي والمدني منه، في دراساته القرآنية والتفسيرية الشيء الكثير، ولكننا نكتفي بإيراد نموذجٌ واحدٌ يدلنا على ذلك مع الإشارة إلى بعض النماذج الأخرى.

وهو ما جاء من الشبه حول الخطاب في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [الرعد:٢١٤]، وقوله تعالى: ﴿ **لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ [٢].

قال القرضاوي: " بعض المستشرقين أمسكوا بعض الآيات وقالوا إن محمداً لم يكن يفكر في عالمية الدعوة إلا في المدينة بعد أن استتب له الأمر بعد صلح الحديبية وبدأ يرسل إلى الملوك والأباطرة وكسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وقبل ذلك في مكة لم يكن يفكر في عالمية الدعوة، بل كان يفكر في عشيرته الأقربين وفي من حول مكة، واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ **لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ " [٣].

وبعد أن شخَّص القرضاوي هذه الشبهة أحالها على محكمة القرآن، وتفسير القرآن بالقرآن، بل على القرآن المكي في القضية قبل المدني، ثم على مقدرته العلمية في النظر إلى الآيات القرآنية وتفسيرها، حيث قال: " وهذا في الحقيقة لون من الاعتساف والتزييف، لأن الذي يريد أن يعرف الحقيقة لا بد له من أن يقرأ القرآن ويعرف ما فيه، فالقرآن المكي واضح وصريح في عالمية الدعوة، قال تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[٤]، وقال: ﴿ **وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾[القلم:٥٢] وهذا ورد في سور شتى من القرآن الكريم كسورة ‹ ص › وسورة ‹ التكوير › ،

---

(١) كتب القرضاوي في ذلك كتابات وكتب كثيرة .

(٢) سورة **الأنعام** ، من الآية : ٩٢، وسورة **الشورى**، من الآية :٧.

(٣) **تفسير سورة الرعد، القرضاوي** ، ص٢٣– ٢٤.

(٤) سورة **ص** ، الآية:٨٧ ، وسورة ، **التكوير** ، الآية :٢٧.

وسورة ‹ القلم ›، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء:١٠٧] ، وقوله: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان:١] وقوله: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[الأعراف:١٥٨] وقوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ:٢٨] وكل هذه الآيات مكية، والعجب أن الآيات التي صرَّحت بعالمية الدعوة آيات مكية بالإجماع، وهذا يدل على أن عالمية الدعوة لم تكن أمرًا قد خطر لمحمد ﷺ في المدينة بعد أن استتب له الأمر، ولكن الصحيح أنه بعد أن صالح محمد ﷺ قريشاً واستتب له الأمر بدأ يفكر في نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، وقبل ذلك لم تكن الفرصة مواتية لمثل هذا، بل لم يُتْرك رسول ﷺ ليستريح يوماً ما " [(١)].

ثم يعود بعد ذلك ليفسِّر قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين** ﴾ حيث قال: " وأما قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين** ﴾ فهذا من مراحل الدعوة والرسول ﷺ يقول: { ابدأ بنفسك ثم بمن تعول } [(٢)]، فالإنسان يبدأ أول ما يبدأ بدعوة أهله ودعوة جيرانه ودعوة من حوله ثم يوسع النطاق شيئاً فشيئاً، فقوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ** ﴾ يعني بني عبد مناف ثم قريشاً ثم بعد ذلك أهل مكة ومن حولها أو ﴿ **أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾، وهذه الحكمة في التدرج لا تنافي عالمية الدعوة " [(٣)].

ففي هذا الشاهد القرآني التفسيري الذي بيَّن فيه القرضاوي الفهم الصحيح والوجيه للآيتين القرآنيتين، والرد على ما رافقهما من زرع تلك الشبهة، ورأينا كيف حمل القرآن الكريم ردَّه بنفسه على هؤلاء، بل وعلى مستوى القرآن المكي، وهو الأمر الذي يدل على عناية القرضاوي واهتمامه بما نزل من القرآن في مكة وما نزل من القرآن في المدينة، ومقدرته على كيفية التعامل مع الشُّبه المثارة في وجه القرآن الكريم ومصادره الأساسية، وعلى التتبع للآيات والألفاظ والمعاني القرآنية في المجال، وأظن أن في هذا النموذج الكفاية للدلالة على المعنى المراد تحقيقه.

رابعاً : تعامل القرضاوي مع القرآن بالقرآن عن طريق الاستدلال منه بالآيات المدنية على الآيات المكية زيادة في تأكيد المعنى القرآني :

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في **صحيحه** { كتاب الأحكام } { باب بيع الإمام على الناس أموالهم وضياعهم } :٢٦٢/٦، ومسلم في **صحيحه** { كتاب الزكاة } { باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم القرابة }:٦٩٢/٢.

(٣) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص ٢٤– ٢٥، وللمزيد من الأمثلة والنماذج التفسيرية في المجال= =راجع على سبيل المثال لا الحصر: **فتاوى معاصرة**، القرضاوي : ١٠٧/٣– ١٠٩، و**شمول الإسلام**، القرضاوي، ص١٠٤– ١٠٦، و**أولويات الحركة الإسلامية**، القرضاوي، ص١٦٤، و**الأقليات الدينية والحل الإسلامي**، القرضاوي ، ص٢٥– ٢٦. **مدخل لمعرفة الإسلام**، القرضاوي، ص٢٩٦، وراجع: إلى ص٣٠١ من **المصدر نفسه** .

كثيراً ما يشير الإمام القرضاوي في تفسيره للآيات القرآنية إلى نوع السورة أو الآية من حيث المكي والمدني، فقد يبدأ بالآية أو الآيات في الموضوع المعني بالدراسة وينص على مكيتها فيفسِّرها ويستدل ببعضها على بعض، ثم لا يكتفي بذلك فحسب، بل يذهب إلى القرآن المدني فيأتي بما جاء في المعنى نفسه بالتفسير والاستدلال، وفي ذلك- ولا شك- تقوية وتأكيد للمعنى القرآني في القضية المعنية. ومن أمثلة هذا عند في تفسيره ما يلي:

(أ) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** ﴾ [الفرقان:٣١]، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الأنعام:١١٢].

حيث قال بعد ذكرهما: " .. ومن ظن أن طريق الإيمان مفروشة بالأزهار والرياحين، فقد جهل طبيعة الإيمان بالرسالات، وطبيعة أعداء الرسالات. ولعل هذا الحسبان أو الوهم دَاخلَ نفوس بعض المؤمنين في العهد المكي، بعد أن أصابهم من العذاب ما أصابهم، فنزل قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [الآيتان:١- ٣] .

بل في العهد المدني نجد القرآن المدني ينفي مثل هذا الحسبان الواهم، في مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [الآية :٢١٤] " [(١)].

(ب) وما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾ [الأنعام:١٥٢]، قال القرضاوي: " ففي شأن أموال اليتامى نجد الوصية بها ضمن الوصايا العشر في سورة الأنعام من القرآن المكي، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾ ، وفي سورة الإسراء المكية [(٢)] كرر هذه الوصية نفسها، تأكيداً لها، وتنويهاً بأهميتها... وفي سورة النساء من القرآن المدني، أنزل الله جملة آيات في مطلع السورة، توصي الناس عامة – والأوصياء خاصة – بأموال اليتامى بدأها بقوله تعالى: ﴿ **وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** ﴾[النساء:٢]، واختتمها بهذا الوعيد الشديد: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء:١٠] " [(٣)].

---

(١) **الصبر في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص١٨ .

(٢) يشير إلى سورة **الإسراء** ، الآية : ٣٤ .

(٣) **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي** ، القرضاوي ، ص١١١- ١١٢ ، وللمزيد من الأمثلة ، راجع على سبيل المثال : **بينات الحل الإسلامي** ، القرضاوي ، ص ١٠٨ ، **وفتاوى معاصرة** ، القرضاوي :٣/ ٤٤٨ ، و**الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه** ، القرضاوي ، ص١٢٠ .

وعند قوله تعالى في القرآن المدني: ﴿ **يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [البقرة:١٧٦]، قال القرضاوي : " وهذه الآية تأكيد لما جاء في القرآن المكي في سورة الروم : ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ [الروم:٣٩] "[١].

فالنماذج واضحة الدلالة على تفسير الإمام القرضاوي القرآن المكي بالقرآن المدني، حيث يبدأ بذكر الآية أو الآيات المكية ويُفسِّرها، ثم يستدل بالآيات المدنية على تلك الآيـــات المكية فيزيد المعنى القرآني تأكيداً ووضوحاً وبياناً.

خامساً : تعامل القرضاوي مع القرآن بالقرآن بالاستدلال منه بالآيات المكية على الآيات المدنية تأصيلاً وتأكيداً لمعانيها كذلك :

علِمنا في الفقرة السابقة تفسير القرضاوي لما نزل من القرآن في العهد المكي بما نزل منه في العهد المدني، تقوية وتأكيداً للمعنى القرآني المكي، وهنا ينحو المفسِّر بنا منحاً آخر، وهو إعادة الآيات المدنية المفسَّرة أو المستَدلِّ بها في المعنى المقصود، إلى الآيات المكية، ليقف بها على الخلفية القرآنية للآيات المدنية، بمعنى الرجوع بالآيات المدنية إلى الأساس الأول – وهو القرآن المكي – الذي بُني عليه هذا البناء القرآني المدني المتميِّز بالأحكام الصارمة والنهائية في القضايا المعنية. وهذا الأسلوب التفسيري والتدليل القرآني الموسع لا ينبئ في الحقيقة إلا عن القدرة التفسيرية الفائقة، والعقلية المنهجية المتقنة الفذَّة عند هذا المفسِّر الإمام.

وهذان مثالان نضربهما لعلنا نُدلِّلُ بهما على هذا المنحى التفسيري المنتَهج عند المفسر، ولعل فيهما الكفاية للدلالة على ما نحن بصدده، وعلى غيرهما مما لم نذكر في المجال، وهما:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **الــم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [البقرة:١- ٣].

قال القرضاوي : " فإذا فتح الإنسان المصحف الشريف وتلا فاتحة الكتاب ، ثم اتجه إلى الصفحة التالية ، ليقرأ طليعة سورة البقرة ، وجد فيها بياناً لصفات المتقين ، الذين ينتفعون بهدى الكتاب العزيز – ثم ذكر الآيات السابقة ، وقال – وقبل ذلك لم يغفل القرآن المكي هذا الخلق من أخلاق المؤمنين : ففي سورة الشورى المكية : ﴿ **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّـــلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّـــا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [الآيات:٣٦- ٣٨] " [٢].

---

(١) **فوائد البنوك هي الربا الحرام** ، القرضاوي ، ص١٦ .

(٢) **فقه الزكاة** ، القرضاوي :٢/٨٥٩- ٨٦٠ .

ثم بعد ذلك ذكر اختلاف المفسرين في تحديد المراد من قوله تعالى في الآيات: ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ أهي الزكاة المفروضة، أم صدقة التطوع، أم النفقة على الأهل والعيال، أو هو عام يشمل ذلك كله ؟ (١).

ورجَّح القرضاوي العموم والشمول مستدِلاً بالآيات المدنية الأخرى، ثم بدليل وتأييد القرآن المكي نفسه فقال : " ومما يدل على ذلك ما جاء في القرآن المكي من أوصاف المتقين : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [الذَّريات:١٥-١٩] ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [المعارج :١٩-٢٥] "(٢).

(ب) ومن هذا ما جاء في حديثه عن " إشادة القرآن بأولي الألباب والنُّهَى" ، وهو يستقرئ ويُفسِّر من القرآن ستة عشر موضعاً جاءت فيها هذه الإشارات والعبارات، قال القرضاوي : " وقد وردت كلمة : ﴿ **أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ أو ﴿ **أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ في القرآن ست عشرة مرة. تسعة منها في القرآن المكي، وسبعة في القرآن المدني(٣). ثم بدأ بذكر الآيات المدنية وتحديد مواضعها وسورها مفسِّراً إيَّاها ورابطاً بين معانيها مبيِّناً نوع الخطاب في كل موضع وفائدته الدينية والروحية(٤). ثم بعد ذلك قال: " وأما الآيات المكية فإليك الحديث عنها " (٥)، فانطلق إليها، فسردَها جميعاً كل في مكان ذكرها والاستدلال بها، مبيِّناً مواضع مجيئها في سورها، مع القيام بالتفسير والربط بين معانيها ومعاني الآيات المدنية (٦).

وهو هكذا يُعدِّد الآيات القرآنية المكية منها والمدنية في الموضوع القرآني الواحد. ثم يبدأ بالآيات المدنية فيبسطها نصاً وتفسيراً واستدلالاً، ثم يأتي بعد ذلك بالآيات المكية تترى ويُفسِّرها ليزيد المعنى القرآني وضوحاً وبياناً، وهو الأمر الذي يجعل الآيات القرآنية تُفهم في ضوء وكنف الآيات المدنية، فتتكون النظرة الصحيحة، ويتقرر المعنى المراد تحقيقه .

---

(١) راجع : اختلاف المفسرين في المسألة ، **الجامع لأحكام القرآن** ، القرطبي :١/١٧٩، ونقله القرضاوي باختصار في ، **فقه الزكاة** ، القرضاوي :٢/٨٥٩- ٨٦٠ .

(٢) **فقه الزكاة** ، القرضاوي :٢/٨٦٠- ٨٦١ . ثم بسط الاستدلال بالقرآن المكي بعد ذلك.

(٣) قال القرضاوي عند هذه الجملة منبهاً : " هذا بناء على ما رجحناه من أن سورة الرعد مكية، كما يدل على ذلك سياقها وموضوعها بين سور ﴿ **الر** ﴾ وكلها مكية " **العقل والعلم في القرآن** ، القرضاوي، ص٢٢، = = الحاشية رقم :١ . وراجع الموضوع في : **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي ، ص٥٦- ٥٩.

(٤) راجع : **العقل والعلم في القرآن الكريم**، القرضاوي، ص٢٢- ٢٤.

(٥) **المصدر السابق** ، ص٢٤.

(٦) راجع : **المصدر السابق**: ص٢٤- ٢٨.

سادساً : استدلال القرضاوي بالآيات القرآنية الأخرى مكية ومدنية على حد سواء في تفسير الآية القرآنية التي هو بصدد تفسيرها أو الاستدلال بها في المعنى :

قد يُفسِّر الإمام القرضاوي الآية أو الآيات القرآنية بآيات أخرى تزيد معناها قوة وتأكيداً، فيبدأ مثلاً: بالقرآن المكي أولاً، ثم المدني ثانيًا، وكلاهما في الاستدلال وقيمته متساويان في تفسير الآية وبيان معناها، وليس الغرض من الاستدلال هنا أن القرآن المدني يُفسِّر القرآن المكي، أو العكس، وإنما ذلك في الأساس هو تفسيرٌ للآية أو الآيات التي هو بصددها أو استدلالٌ عليها، سواء بسواء، وهو الأمر الذي سيتضح أكثر من خلال النموذجين التاليين:

(أ) ما جاء تحت عنوان : مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان:٣٤] .

قال القرضاوي : " فأما ﴿ **عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ فقد انفرد به الله سبحانه، ولم يُطلع عليه مَلَكاً مقرَّباً، ولا نبياً مرسلا، وقد وجَّه القرآن الرسول الكريم في أكثر من آية أن يُجيب السائلين عن الساعة بجواب محدد: ﴿ **إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ** ﴾(١)، و ﴿ **عِندَ رَبِّي** ﴾ (٢)، حتى يغلقوا أفواههم فلا يطمعوا في معرفتها بكثرة السؤال عنها. نقرأ في ذلك قوله تعالى في القرآن المكي: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٧] . وفي القرآن المدني : ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ [الأحزاب:٦٣] " (٣).

(ب) ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [آل عمران:١٣٧].

قال القرضاوي في تفسير هذه الآية : " وقد ذكر القرآن كلمة ﴿ **سُنَن** ﴾ مجموعة منكَّرة، كما في هذه الآية، كما وردت مفردة ومعرَّفة بالإضافة كما في الآيات الأخرى.اقرأ في ذلك هذه الآيات من القرآن المكي: ﴿ **وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** ﴾ [الإسراء:٧٦-٧٧]. ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِـدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِـدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾

---

(١) سورة **الأعراف** ، من الآية :١٨٧ ، وسورة **الأحزاب** ، من الآية : ٦٣ .

(٢) سورة **الأعراف** ، من الآية : ١٨٧ ، وسورة **طه** ، من الآية :٥٢ .

(٣) **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص١٨٠، وراجع : تكملة النموذج إلى ص١٨١.

[فاطر:٤٢- ٤٣]. واقرأ في المدني : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (١) ... والملاحظ: أن هذه الآيات كلها – مكية ومدنية – : أكدت ثبات السُّنَّة واطرادها ودوامها، كما أنها جميعاً تتحدث عن السنن الاجتماعية. أعني: سُنن الله في الاجتماع البشري: في النصر والهزيمة، والنجاة والهلاك، والبقاء والزوال " (٢).

والأمثلة واضحة الدلالة على تفسير القرضاوي القرآن بالقرآن عن طريق الاستدلال بالقرآن المكي والمدني على قدم المساواة، وأسلوبه عند ذكر الآيات يُفصح عن ما قصدنا تقريره وإثباته في هذه الجزئية من المنهجية القرضاوية في التفسير، حيث وجدناه يقول " اقرأ في ذلك هذه الآيات من القرآن المكي.. واقرأ في المدني..، نقرأ في ذلك قوله تعالى في القرآن المكي .. وفي القرآن المدني..، والملاحظ: أن هذه الآيات كلها – مكية ومدنية – : أكدت.. " وهكذا من غير إشارة إلى هذا يؤكد ذلك، أو ذلك يؤيد هذا، بالتصريح أو بالجزم، أو بغير ذلك من الأساليب والمعالجات القرآنية عند القرضاوي.

المبحث الثاني

تعامله مع القرآن بالقرآن باعتبار أول وآخر ما نزل منه

علم أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن من العلوم القرآنية النقلية والتوقيفية التي ليس للعقل فيها مجال للاجتهاد إلا في حدود التأكد والتثبت من الرِّوايات والنقولات ، وما تتطلبه من الجمع والترجيح بين ما يبدو في ظاهره التعارض والتناقض لبعضه البعض.

وهو من العلوم التي يتحدد بوجوده التمييز بين الناسخ والمنسوخ، ومعرفة تاريخ التشريع الإسلامي ومراقبة التدريج فيه، والوقوف على مدى عناية هذه الأمة بكتابها الكريم سورة سورة، بل وآية آية (٣).

وليس من غرضنا في هذا المبحث أن نتحدَّث عن هذا العلم بوصفه ذلك العلم القرآني التفصيلي، فذلك أمرٌ بعيد الغاية، وصعب التحقيق، وليس مجاله هنا، ولا نهدف إليه، وعليه فليطلب

---

(١) سورة **الأحزاب**:٣٨، ثم ذكر بعدها الآيات:٦٠- ٦٢، وذكر من سورة **الفتح** ، الآيات:٢٢- ٢٣.

(٢) **العقل والعلم في القرآن الكريم**، ص٢٧٩- ٢٨٠، وراجع بعض الأمثلة الأخرى في: **من فقه الدولة فالإسلام**، القرضاوي، ص٤٩، و**التوكل**، القرضاوي، ص٩- ١٢ .

(٣) راجع : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، الزرقاني :٦٦/١ .

من مواضعه في مظانه [١]، وإنما الذي يُعنينا منه هو معرفة كيفية تعامل القرضاوي ونوَّع استفادته من هذا العلم عند تفسيره للآيات القرآنية أو الاستدلال بها على تفسير القرآن نفسه، في سبيل تقرير المعاني القرآنية، وهو الأمر الذي نقترب منه فيما نفصله في الفقرتين التاليتين:

أولاً : أهمية التعامل مع القرآن بملاحظة أول ما نزل وآخر ما نزل منه في دراسة القرضاوي للآيات القرآنيـة :

لهذه الفقرة والتي تليها اتصالٌ وثيق بالفقرات في المطلب قبل هذا ، وهما المُخصَّصَات لمنهج القرضاوي في تفسير القرآن بالاعتماد على المكي منه والمدني، وذلك بالنظر إلى التداخل القائم بين علمي المكي والمدني وبين أول وآخر ما نزل من القرآن، فإنه يوجد أول وآخر ما نزل من القرآن في مكة، ويوجد أول وآخر ما نزل من القرآن في المدينة، وغير ذلك من الأوليات والأخرِيَّات [٢].

والتعامل مع القرآن بالقرآن – وبغيره من العلوم القرآنية والتفسيرية – مع النَّصِّ على أن هذه الآية أو تلك الآيات هي أول ما نزل، أو آخر ما نزل في القضية المعنية، أو الحكم الشرعي المراد، إنما هو من الأعمال المنهجية والعلمية التي تؤدِّي في الحقيقة إلى نجاح العملية التفسيرية، وبالإضافة إلى تلك الفوائد التشريعية والتفسيرية المستفادة من هذا العلم [٣] فإن لذلك كله عند الإمام القرضاوي أهمية منهجية وفوائد قرآنية وتفسيرية أخرى، وفلسفة خاصَّة تظهر جلية لمن ينظر **في دراساته القرآنية** بإمعان نظر، و يقرأ في تفسيراته بعمق ودقَّة بحث.

ذلك أن الاعتماد على هذا الأسلوب في تفسير الآيات القرآنية عنده يُلقي في عقلية القارئ بظلال التقوية والتأكيد والتثبيت للمعاني التي تضمنتها تلك الآيات، ففيه إيحاء بقوة الدليل أو الآية القرآنية بوصفها أول ما نزل، وفي ذلك دلالة على الاهتمام والعناية الإلهية بها، وبوصفها آخر ما نزل في الحكم أو القرآن الكريم، وكفى بذلك دليلاً ناصعاً و شاهداً قاطعاً حيث لا تعقيب بعده ولا استدراك ولا تخصيص ولا نسخ.

لهذا تجد الإمام القرضاوي المفسِّر يستخدم آليات ومسميات ومصطلحات هذا العلم بكثرة في دراساته، حتى أنه وهو يتكلم عن الآيات الأولى في الوحي، وهي قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق:١-٥] قال بالتصريح : " كان لأولية هذه الآيات الكريمة دلالتها وإيحاؤها، فهي توحي بفضل العلم وتقديمه على غيره، فبه تبدأ الأمور، وتفتتح الأعمال. فقد أمرت الآيات بالقراءة مرتين: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ ، ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** ﴾ والقراءة هي باب العلم ومفتاحه "[٤].

---

(١) راجع: هذا العلم بالتفصيل في : **البرهان في علوم القرآن** ، الزركشي :١/٢٠٦- ٢١٠ ، **والإتقان في علوم القرآن** ، السيوطي :١/٦٩- ٨٢ ، **ومناهل العرفان في علوم القرآن** ، الزرقاني :١/٦٦- ٧٦ .

(٢) انظر : **المبحث السابق من هذا الفصل.**

(٣) انظر : بعض تلك الفوائد في **الصفحة السابقة من هذا المبحث.**

(٤) **الحياة الربانية والعلم** ، القرضاوي ، ص٦٩ .

وسيأتي من هذه العبارات وأمثالها تباعاً، وقد مضى منها في المكي والمدني – قبل هذا – وهي أيضاً منتشرة بكثرة في هذه الدراسة. ومن ذلـــك ما يلي:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **الــم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [البقرة:١- ٣].

قال القرضاوي : " ومن أوائل ما نزل من القرآن في مكة سورة الليل، وفيها يقسم الله تعالى فيقول : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** * – ذكر الآيات إلى آخر السورة – ﴾.

ثم بعد ذكره للآيات بدأ في بيان الأصناف التي أشارت إليهم السورة [١]، حتى قال في الأخير : " لقد كانت هذه السورة المبكرة من سور القرآن المكي بما اشتملت عليه من هذين النموذجين – مشيرة إلى الاتجاه الذي يسير فيه الإسلام نحو المال ونحو الأغنياء. وموضحة النموذج الخلقي الذي ينشده الإسلام ويرضاه الله تعالى "[٢] .

(ب) ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران:١٣٠].

فبعد أن فسَّر القرضاوي هذه الآية القرآنية، وردَّ من خلالها على شبهة المتكئين عليها في أن الربا الحرام هو ما كان ﴿ **أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً** ﴾ أما الرِّبا القليل فلا يدخل في الربا المحظور، وبين هذه الجملة القرآنية باللغة وبالقرآن [٣]. قال: " على أن البيان الحاسم هنا هو ما جاءت به آيات سورة البقرة وهي من أواخر ما نزل من القرآن، وفيها إبطال لكل تعلَّة. يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:٢٧٨- ٢٧٩] "[٤].

وفي موضعٍ آخر من الكتاب نفسه قال : " وحسب المسلم أن يقرأ ما ورد عن الربا في أواخر سورة البقرة، ليحس أن قلبه في صدره يكاد ينخلع انخلاعاً من هول الوعيد، وشرر التهديد الذي تنذر به الآيات الكريمة. وهي آيات محكمات من أواخر ما نزل من القرآن " [٥] ثم ذكر الآيات [٦] وفسَّرها أجمل تفسير يُحسن مراجعته [١].

---

(١) راجع : **فقه الزكاة** ، القرضاوي :٢/٨٦١- ٨٦٢ .

(٢) **المصدر السابق** :٢/٨٦٢ .

(٣) راجع : **فوائد البنوك هي الربا الحرام** ، القرضاوي ، ص٦٠- ٦١ .

(٤) **فوائد البنوك هي الربا الحرام** ، القرضاوي ، ص٦١- ٦٢ .

(٥) **المصدر السابق** ، ص ١٤ .

(٦) سورة **البقرة** ، الآيات :٢٧٥- ٢٨١.

فأنت ترى أهمية ما يستدل به القرضاوي، وكيفية تركيزه على الأوائل والأواخر من التنزلات القرآنية في الموضوعات المعنية، وإطلاقه على ذلك، أو قوله، هذا من أوائل المكي، أو من أواخر المدني، أو هذه السورة المبكرة، وغير ذلك من العبارات الموحية، مما هو في هذه المواضع المعروضة، وفي كثير من دراساته النظرية والتطبيقية، وهو الدليل الواضح على اهتمامه وعنايته ببيان القرآن بالقرآن عن طريق هذا العلم وصولاً منه إلى تقرير القضايا.

ثانياً : تعامل القرضاوي مع القرآن بالقرآن عن طريق الاستدلال بأواخر ما نزل على أوائل ما نزل منه تقريراً وتأكيداً للمعاني القرآنية :

بعد أن علمنا أهمية علم أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن في تعامل الإمام القرضاوي مع الآيات والسور القرآنية بصفة عامة، وضربنا لذلك بعض الأمثلة وأشرنا على البعض الآخــر، نقف في هذه الجزئيــة على كيفية استدلاله بأواخر ما نزل من القرآن الكريــم على أوائل ما نزل منه، وما في ذلك من الزيادة والتثبيت والتأكيد للمعاني القرآنية في المجال القرآني الواحد، ولكي يتضح هذا الأمر نضرب كذلك بعض الأمثلة التفسيرية للقرضاوي :

(أ) ما جاء في معرض حديثه عن ‹ الاستغفار › في القرآن الكريم، ومنه أَمْرُ الله محمدًا ﷺ به ، عند الاستدلال على بدليل قوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾ [غافر:٥٥] .

فبعد أن ذكر هذه الآية وهي من القرآن المكي، ذكر بعدها آيتان وهما من القرآن المدني[٢]، ثم قال : " وقال تعالى : ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ . وهذه السورة من أواخر ما نزل من القرآن، أي أنها نزلت في أواخر حياته ﷺ، وبعد نزول قوله تعالى في سورة الفتح ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾ [الفتح:٢]، فهذه نزلت في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية المعروف، الذي سماه الله تعالى فتحاً مبينًا، ومع هذا أُمِر بالاستغفار، وكان أكثر الناس استغفارًا لربه " [٣] .

نرى في النموذج كيف جاء الإمام القرضاوي بالدليل المكي في قضية الاستغفار وهو من أوائل ما نزل من القرآن ، ثم ثنى بالدليل المدني، ثم ثلَّث بأواخر ما نزل في المعنى من القرآن المدني كذلك ، وهي سورة ‹ النصر › ولم يكتف بإيرادها فحسب، بل ذهب ليُضفي عليها العبارات

---

(١) **فوائد البنوك هي الربا الحرام** ، القرضاوي ، ص١٥– ١٨ ، وللمزيد مــن الأمثلة في المجــال انظر بعض النماذج في : **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، القرضاوي ، ص٧٥– ٧٦ ، ٢٠٧– ٢٠٨، و**الإيمان والحياة**، القرضاوي ، ص٥٢ ، ١١٧ ، و **من أجل صحوة راشدة** ، القرضاوي ، ص١٤٦– ١٤٧، **وتفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص ٥٨– ٥٩ ، **فقه الزكاة** ، القرضاوي :٥٣/١– ٦٢ .

(٢) الأولى في سورة **النساء** ، الآية : ١٠٦. والثانية في سورة **محمد** ، الآية :١٩.

(٣) **التوبة إلى الله** ، القرضاوي ، ص ٧٠– ٧١.

الموحية بتقوية الدليل وتقوية المعنى الصادر عنه، لأنها من الأواخر القرآنية، من حيث النزول بصفة عامة ، ومن آخر ما نزل في المدينة في المعنى الاستغفاري ، وأنها من آخر ما نزل من القرآن في حياته ﷺ، مع التحديد للزمان والمكان.

(ب) وما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الحج:٥٤].

قال : " ... ولأن العلم يسبق الإيمان والعمل ، كان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق:١-٥]. أمر فيها بالقراءة وكرره ، والقراءة هي مفتاح العلم ، ونوه بالقلم وهو أداة نقل العلم وتثبيته. ثم نزل بعدها قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ﴾ [المدثر:١- ٧]. وكلها آيات آمرة بالعمل، وهو ترتيب فطري ومنطقيس: أن يؤمر بالعمل بعد العلم " [(١)].

فهذه بعض الإشارات المدعَّمة بالأمثلة والنماذج التفسيرية الدَّالة على اهتمام وعناية الإمام القرضاوي بعلم أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم في مجال تفسير القرآن بالقرآن، في دراساته القرآنية والتفسيرية، والدالة أيضاً على تفسيره الآيات القرآنية صاحبة النزول الأول بالاستدلال على بيانها وتثبيت معانيها من الآيات صاحبة النزول القرآني الأخير.

* * *

المبحث الثالث

تعامله مع القرآن بالقرآن بالاعتماد على القراءات القرآنية

من المعلوم أن القرآن ظل ينزل على قلب محمد ﷺ مفرقاً بحسب الحوادث، ومقتضيات الأحوال وتبعا للحاجة الدينية والتشريعية والحكمة الإلهية، ثلاث عشرة سنة بمكة، وعشر سنين بالمدينة المنوَّرة، أي ثلاثًا وعشرين سنة، على الرأي الأرجح [(٢)] وهي فترة بعثته وإلى وفاته. ثم

---

(١) **تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة ‹ فقه العلم ›** القرضاوي ، ص١٨٠ . وراجع : المزيد من الأمثلة في هذا المجال في : **مدخل لمعرفة الإسلام** ، القرضاوي ، ص١١٨- ١٢٠ ، **الحياة الربانية والعلم** ، القرضاوي ، ص٦٩- ٧٠ ، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة** ، القرضاوي ، ص٢٢٥-٢٢٦، **جريمة الردة .. وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة** س، القرضاوي ، ص٧٥- ٧٦ .

(٢) راجع : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، الزرقاني :٣٨/١ وما بعدها .

تلقاه عنه الصحابة الكرام على سبعة أحرف، فاشتهر الكثير منهم بعد ذلك بإقراء الناس هذا القرآن بحسب هذه الأحرُف أو القراءات التي تلقاها كل واحدٍ منهم عن الرسول ﷺ مباشرة، حتى سُمُّوا بالقُرَّاء. وبهؤلاء السلف نُقلَت القراءات إلى الخلف واستمرت، وحُفِظت بحفظ الله لهذا القرآن، وعلى هذا فإن علم القراءات القرآنية من أهم وأبرز علوم القرآن الكريم.

قال القرضاوي : " لم يوجد كتاب في الوجود نال من العناية والرعاية والتدقيق – حتى في ضبط حروفه وكلماته، وفي طريقة نطقها وتلاوتها، ومقدار غنِّها، معشار ما ناله كتاب المسلمين: كتاب الله، القرآن المجيد: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩] "(١).

ولذلك فإن المفسِّر أو الفقيه لا يستطيع التعامل مع القرآن الكريم من حيث الفهم والتفسير والاستدلال والاستنباط في ظل غياب هذا العلم من عقليته أو إلمامه المتميز بأساسيات مفرداته.

ومَن ينظر إلى تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن الكريم في ضوء القراءات القرآنية المتعلقة ببعض آياته، وأثر ذلك في تفسيراته واستنباطاته للأحكام الفقهية، ومعالجاته النحوية لذلك، وإجاباته في بعض فتاواه ذات العلاقة، يعلم بيقين اهتمامه البالغ بهذا العلم وتمكُّنه من التعامل الصحيح معه، وقدرته على الاستفادة النوعية منه. وفيما يلي الدليل التفصيلي لهذه المعاني:

أولاً : اهتمامه العام بالقراءات القرآنية وما يتعلق بها ومكانته العلمية في ذلك :

لم تكن القراءات القرآنية في نظر الإمام القرضاوي مجرد أحرف تُقرأ، أو قراءات تتعدد في اللفظ القرآني الواحد فيتغير هذا التفسير أو ذلك المعنى والفهم فحسب، بل إن القضية لها أبعاد أخرى وفلسفات تظهر للقارئ المتمعن، والمُقرئ اللبيب، بالإضافة إلى تلك المعاني الظـــاهرة والمباشرة، فهي في الأساس الرسالة الدينية الواضحة بالرحمة الإلهية، والإذن الإسلامي الصريح بالاختلاف المشروع في الفروع، والتأصيل الصحيح لطبيعة الدين وسعة أُفقه.

وهو الأمر الذي يشير إليه القرضاوي بوضوح عند قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُوْلُواْ الألْبَابِ** ﴾ [آل عمران:٧] .

حيث قال : " أجل لو شاء الله أن يتفق المسلمون على كل شيء، ولا يقع منهم اختلاف في شيء ، ولو كان فرعاً من الفروع، أو أصلاً من الأصول غير الضرورية لأنزل كتابه كله نصوصاً محكمات قاطعات الدلالة، لا تختلف فيها الأفهام ولا تتعدد التفسيرات، ولكنه جل شأنه أراد أن يكون في كتابه المحكمات – وهن أم الكتاب ومعظمه – وفيه المتشابهات، وهن أقله، وفي ذلك ابتلاء من ناحية، وشحذ للعقول لتجتهد من ناحية أخرى " (٢) ثم ذكر الآية السابقة.

---

(١) **فتاوى معاصرة** ، القرضاوي :٦٧/١ .

(٢) **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم** ، القرضاوي ، ص٤٢– ٤٣ .

ثم قال بعدها: " بل إننا – قبل مرحلة الفهم والتفسير – مرحلة القراءة نفسها، فقد تعددت القراءات في كتاب الله إلى سبع ، بل إلى عشر، وهي القراءات المتلقاة بالقبول من الأمة، ولم ير أحد من علماء المسلمين في ذلك أي حرج، لأنها كلها ثابتة عن رسول الله ﷺ، روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: { سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت رسول اللهﷺ ، يقرأ خلافها، فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهة، فقال: كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا } (١)، " (٢). فهذا يشير إلى فلسفة القرضاوي وأفقه الواسع لفهم اختلاف القراءات، ويدل على عمق فكره التأصيلي للقضايا المعاصرة للأمة هذا العلم الشرعي.

ولا يمنعنا هذا الفهم والاستدلال الفريد، والاستنباط الدقيق من أن نقترب أكثر من تفسيره التطبيقي لنُدلِّل على مقدرته العلمية في سبر غور هذا العلم وإيحاءاته القرآنية وتعامله المباشر مع القراءات وما يتعلق بها من علم التجويد والوقف والابتداء ، وذلك لنتبين فلسفته الواسعة ونظراته الشاملة إلى هذا الجانب ، فمثلاً :

ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف:١٠٨] .

قال القرضاوي : " الذي أُرجِّحه في الآية الكريمة من سورة يوسف " ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾:أن فقرة ﴿ **أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ جملة واحدة وهي جملة تفسيرية للجملة قبلها ﴿ **هَذِهِ سَبِيلِي** ﴾ فهو يشرح هذه السبيل بأنها: الدعوة إلى الله على بصيرة هو وكل من آمن به واتبعه. فضمير ﴿ **أَنَاْ**﴾ في الآية تأكيد لفاعل ﴿ أَدْعُو﴾، وليس مبتدأ لخبر مقدم هو ﴿ **عَلَى بَصِيرَةٍ** ﴾، والصحيح أن تعرب ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ على أنها حال من فاعل ﴿ **أَدْعُو**﴾. ولو جعلت هذه الفقرة جملتين: الأولى: ﴿ **أَدْعُو إِلَى اللّهِ** ﴾، والثانية ﴿ **عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ لأخل ذلك بمعنيين كبيرين : الأول : ربط الدعوة بهذا الوصف الجميل : ﴿ **عَلَى بَصِيرَةٍ** ﴾ وهذا الربط لا يتأتى إلا بربط الفقرة كلها، وجعلها جملة واحدة، وعدم الوقف على قوله ﴿ **إِلَى اللّهِ** ﴾؛ لأن ﴿ **عَلَى بَصِيرَةٍ** ﴾ ستكون خبراً مقدماً للمبتدأ بعدها، وهو الضمير والمعطوف عليه ﴿ **أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ . الثاني : جعل الدعوة إلى الله على بصيرة من أوصاف الأتباع أيضاً، فكل من اتبع النبي ﷺ فهو داعٍ إلى الله وداعٍ على بصيرة، وبالوقف على ﴿ **إِلَى اللّهِ** ﴾ ينفصل الأتباع عن الدعوة، وتنفصل الدعوة عن البصيرة . لهذا أُرجِّح كل الترجيح

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه** { كتاب الخصومات } { باب ما يذكر في الأشخاص ...} :٨٤٩/٢ ، وفي { كتاب التفسير } { باب أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم ... } :٣/ ١٢٨٢ .

(٢) **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، القرضاوي ، ص٤٣ ، وراجع ما جاء في المعنى ، **المصدر نفسه:** ص٢٧ – ٢٨.

عَدَم الوقف على قوله: ﴿ **إِلَى اللّهِ** ﴾، وقراءة الفقرة كلها متصلة ﴿ **أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ " [١].

وبهذا النموذج القراءاتي التجويدي ، تتجلى لنا مرجعية القرضاوي في هذا العلم للباحثين والمتخصصين والحائرين، والأمثلة واضحة في المعنى المراد تحقيقه وقد حرصنا على إيراده بنصه كاملاً وأشرنا في الحاشية إلى أمثاله مما لم نذكر هنا لكن باختصار شديد.

ولكني أقول: إن مكانة المفسِّر تبرز للعيان يوم يستطيع الاستخلاص والتوظيف السليم والتوجيه لما بين يديه من العلوم، بل الاستفادة من تلك العلوم التي ربما قد نُظِرَ إليها بأنها جامدة وصعبة بحيث لا يستطيع المتعامل معها أن يأتي منها بالجديد، لذلك أحجم البعض عن تناولها وعزف البعض الآخر عن دراستها، ومن هذه العلوم – فيما نرى – علم القراءات رواية وخصوصاً دراية. ومن خلال نظرات هذا العالم الجليل في بعض القراءات والأحكام التجويدية كالوقف وغيره مما عرضناه وما لم نعرضه، رأينا القدرة الفائقة والعقلية الفذَّة في استطاعته أن يجعل من هذه العلوم مدرسة للفكر والثقافة والدعوة. ومدرسة لتربية الأجيال وجمع الأمة.

ثانياً : تعامل القرضاوي مع القرآن بالقرآن ببيان القراءات فيه وحمل بعضها على بعض وتفسيرها وتوضيحها بالقراءات والآيات القرآنية الأخرى :

بعد تلك الاستدلالات القراءاتية المطولة – نظراً لطبيعتها – الدالة على اهتمام الإمام القرضاوي وعنايته بالقراءات، ومكانته العلمية فيها، نجده بعد ذلك أو قبله في تفسيره للآيات القرآنية لا يتعرض لآية فسرها أو استدل بها وفيها قراءة أو قراءات أخرى يستدعي الأمر التفسيري التعرض لها أو التنبيه عليها إلا وأشار إليها، و لكنه لا يذكر منها إلا المشهور والمقبول المتفق عليه، مع عدم الدخول في التفصيلات والتجزيئات زيادة على القدر الذي يقف به على المعنى ويوضحه. وأضرب لذلك بعض الأمثلة:

(أ) ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [الرعد:٤] . قال القرضاوي : " ... هذه الأنواع المختلفة كلها ﴿ **يُسْقَى** ﴾ بماء واحد، ومن القرَّاء السبعة من قرأ بالتاء ﴿ تُسْقَى ﴾ وكلها قراءات صحيحة صحَّت عن رسول الله ﷺ [٢]، ويسقى – يعني ما ذكر – كله بماء واحد، أو تسقى – أي هذه الأشياء أيضاً – بماء واحد وإن اختلف مصدر هذا الماء ... إن الله تعالى هو الذي يفضل بعضها على بعض في الأكل، سواء كانت القراءة ﴿ **وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ** ﴾ بالنون وبصيغة المتكلم أو كانت ﴿ وَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ﴾ عطفاً على قوله : ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ** ﴾

---

(١) **فتاوى معاصرة** ، القرضاوي :٢/٢٣– ٢٤ . وراجع : اختياراته وترجيحاته للوقوف والقراءات في: **المصدر نفسه** :٢/٢٣–٢٦، ١/٦٦–٦٧ .

(٢) اللذان قرءا (بالياء) همـــا ابن عامر وعاصم ، والباقون قرءوها (بالتاء) ، راجع: **كتاب السبعة في**= = **القراءات** ، أبو بكر أحمد البغدادي، ص٣٥٦– ٣٥٧ ، و**حجة القراءات** ، ابن زنجلة، ص٣٦٩.

وهو من العطف البعيد ولكن القراءة المشهورة هي بالنون: ﴿ **وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ** ﴾ [١] ... " [٢].

(ب) وما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد:٤٢] . قال القرضاوي : ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾: " وفي بعض القراءات السبعية: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [٣] والكافر هنا اسم جنس، والمعنى : وسيعلم جنس الكافر لمن عقبى الدَّار، .. سيعلم الكفار لمن عقبى الدَّار .. " [٤] .

(ج) وفي معرض استدلاله بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [الإسراء:١٦] . قال القرضاوي في تفسير هذه الآية : " في الآية قراءتان ﴿ **أَمَّرْنَا**﴾ – بتشديد الميم [٥]، أي جعلناهم أُمَرَاء وحُكَّامًا ، فطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد ، فصبَّ عليهم ربُّك سوط عذاب [٦]، كقوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [الأنعام:١٢٣]، وفي الحديث: { إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة } [٧]. وأمَّا قراءة التخفيف المشهورة [٨] فمعناها: أمرناهم بالطاعة والعدل، ففسقوا عن أمر الله، وفعلوا الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، فاستحقوا عقوبة الله تعالى. وعن ابن عباس وغيره : أمرنا مترفيها: أكثرنا عددهم[٩]،

---

(١) الذين قرءوا (بالنون) هم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر، والباقيان قرءاها (بالياء) وهما حمزة والكسائي، راجع : **كتاب السبعة في القراءات** ، أبو بكر أحمد البغدادي، ص٣٥٧.

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي، ص١١٧– ١١٨.

(٣) لمعرفة الذين قرءوا بالجمع، أو بالإفراد، راجع : **كتاب السبعة في القراءات**، أبو بكر البغدادي، ص٣٥٩.

(٤) **تفسير سورة الرعد**، القرضاوي، ص٢٩٣– ٢٩٤ .

(٥) قرأ أبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف، راجع: **المصدر السابق** ، ص٣٧٩ .

(٦) إشارة إلى الآيات من سورة **الفجر**، الآيات :١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٧) أخرجه البخاري في **صحيحه** { كتاب العلم } { باب فضل العلم } :٣٣/١ .

(٨) والذين قرءوا بالتخفيف هم الباقون من القرَّاء السبعة ما عدا أبا عمرو، راجع: **كتاب السبع في القراءات**، أبو بكر البغدادي ، ص٣٧٩ ، و **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه، ص٢١٤.

(٩) راجع : **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، وقال : " وقراءة التخفيف هي المشهورة ":٣٣/٣– ٣٤ ، **والجامع لأحكام القرآن** ، القرطبي : ٢٣٢/١٠– ٢٣٥.

واستشهدوا له بحديث:{ خير المال مُهْرة مأمورة}[1] أي كثيرة النسل. وكل هذه المعاني صحيحة، ولا مانع أن تكون كلها مرادة من الآية .."[2].

وهذا النموذج التفسيري في القراءات هو غاية الدِّقة في الدلالة على المعنى الذي نحن بصدده، فقد أوضح فيه القرضاوي القراءتين في الآية بالتشديد والتخفيف، وبيَّن علاقة كل قراءة بالمعنى التفسيري ومدى أثرها في توجيهه، وقد استدل لذلك من الآيات القرآنية الأخرى والأحاديث النبوية ، وتفسير الصحابة الكرام، ليؤيد بذلك كله معنى هذه القراءة أو تلك في سبيل تحقيق المعنى القرآني المراد ، وليؤكد في النهاية صحة هاتين القراءتين وما تضمنتا من المعاني والأحكام القرآنية.

ونكون من خلال النماذج الثلاثة، قد وقفنا على اهتمام الإمام القرضاوي بالقراءات القرآنية في دراساته التفسيرية وموضوعاته القرآنية العامة، ومكانته في هذا العلم القرآني، ورأينا منهجه وأسلوبه في إيراد القراءات القرآنية، ونوعيَّة القراءات التي يستدل بها، أو يستدل لها من القراءات والآيات القرآنية الأخرى. ومتى وكيف ذلك، وهو أسلوب آخر من أساليب تعامله مع القرآن بالقرآن يُضاف إلى تلك الأساليب والمنهجيات التفسيرية والاستدلالية المتعدِّدة السابقة الذكر في هذا الفصل بالذَّات.

وأظن أننا في هذا المبحث قد كشفنا عن معالجات تفسيرية جديدة، هي عند العلماء من أهم أصول التفسير ومن أساسيات علوم القرآن، ولا يكاد يخلو منها تفسير من التفاسير القديمة والحديثة، والنقلية والعقلية، لكنها في كل ذلك بنسب متفاوتة وبحسب قدرة المفسِّر على التعامل معها والاستفادة منها، تلك هي مكوِّنات علوم القرآن: وقد بدا لنا واضحًا كيفية تعامل القرضاوي مع هذه العلوم، ومقدار إفادته منها في تفسير القرآن العظيم ومنهجيته العلمية في ذلك، وفي رأينا أن هذا التعامل يُقدِّم لنا التفسير الواضح لتكاملية هذه العلوم القرآنية والتفسيرية ووحدة معرفتها.

وبملاحظة ما تقدم يتجلى شأن القرآن الكريم في تفسير بعضه للبعض الآخر، ولهذا اعتمده كثير من السلف الصالح وسار عليه الخلف حتى زماننا الحاضر – وإن كان لا يُحسنه كل المفسِّرين – والحق أن هذا المجال من المنهج يكون عاملاً مساعداً في كشف عيون التأويل، واستخراج كنوز القرآن، لكنه لا يستوعب القرآن تفسيراً ما لم يضم إليه الأثر الثابت واللغة.

ولذا يجد القارئ أن الإمام القرضاوي في تفسيره أكثر ما يستعين بالآية القرآنية على فهم أختها ويسترشد بالقرآن إلى إدراك معاني القرآن– كما أشرنا سابقاً– ثم يجعل الأثر المروي مرشداً وموضِّحاً ومؤكِّداً لهذه المعاني وذلك الاستدلال.

---

(١) أخرجه أحمد في **المسند** ، بلفظ { ثم خير المرء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة } :٤٦٨/٣.

(٢) **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي** ، القرضاوي ، ص٢٢٦– ٢٢٧ ، وراجع: بعض الأمثلة الأخرى في القراءات على سبيل المثال في : **تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة – فقه الصيام** ، القرضاوي، ص٦٥– ٦٧ ، و**فقه الطهارة** ، القرضاوي، ص٢٨٠– ٢٨٣.

ولعل قارئ القرآن الكريم، والباحث المتأمل فيه، أو المتعامل معه فهماً وتفسيراً واستدلالاً يجد في هذا البحث أساليب تعاملية تفسيرية جليلة المقدار، وعظيمة النفع، وجديرة بالاستفادة منها أو الاهتداء بها، في المسير مع التفسير، ذلك أن منهج تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن الكريم يكتسب – فيما نرى – الجدية في معالجة النصوص القرآنية، والتنوع في اختيار طرق الفهم والاستنباط، والتفسير والاستدلال القرآني، وما يختص به هذا المنهج من التكامل المنهجي والمعرفي القائم على الدمج والمزج بين قضايا التفسير بخاصة، وعلوم القرآن بعامة، في العملية التفسيرية الواحدة.

خلاصة البحث ونتائجه

والآن، وبعد هذه الرحلة العلمية، والجولة المنهجية، في رحاب **تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن بالقرآن– دراسة منهجية في النظرية والتطبيق،** نخلص إلى تقرير بعض القضايا المنهجية والعلمية المتعلقة بكيفية تعامل المفسِّر مع القرآن العظيم؛ خصوصًا في ضوء المنهج التعاملي النقلي: القرآنيُّ القرآني، وما نستخلصه هنا هو عبارة عن نتائج لتلك العمليات التفسيرية التي عبَّرْنا عنها نظريًا وعمليًا في البحث، وعليه فقد كانت خلاصة البحث ونتائجه كما يلي :

أولاً : حول ظاهرة كثرة النصوص القرآنية في تعامل الإمام القرضاوي مع القرآن الكريم في نتاجه العلمي : فإن أول ما يُلفت نظرنا في هذا الجانب هو الحضور القرآني المكثَّف، أو ما يمكن الاصطلاح عليه وتسميته بسعة الانتشار القرآني في التفسير والاستدلال به في دراساته القرآنية والتفسيرية والاستدلالية العامة، ونقصد به حضور الآيات القرآنية وتواجدها الدائم في ساحة التفسير القرضاوي للقرآن الكريم، وفي كل تعاملاته القرآنية المتعدّدة بصورة ملفتة للانتباه، مما يُشكل لدينا ظاهرة قرآنية وتفسيرية واستدلالية عامة وبارزة في منهجه في التفسير بالمأثور، أوفي غيره من المناهج، كالتفسير بالرأي بحكم التداخل القائم بين المنهجين.

حيث نجد الآيات أو الأدلة القرآنية تزدحم وتتتابع وتتوالد بكثرة في منهجه وتفسيره بدءًا من الآية الأولى المرتكز التفسيري أو الاستدلالي – أي المستدل بها – ثم الآيات بعدها فرادى ومثنى وثلاث ورباع إلى الكثرة الكاثرة في المعنى أو الموضوع القرآني الواحد، وهو الاستيعاب والاستحضار القرآني الذي كان قد ألمح إليه القرضاوي، بل ودعا إليه في مقدمته التفسيرية العامة وألزم به المفسِّر بقوله:" ولهذا لا بد لمفسِّر القرآن أن يكون مستوعبًا للقرآن مستحضرًا له" [1].

وهذا الانتشار القرآني أو التراكم الآياتي الذي يُحيطه القرضاوي درسه القرآني، ويجده ويلمسه الدارس لمنهجه وتفسيره، إنما يهدف فيه إلى تقوية المعنى القرآني المنشود، وإشباعه

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٢١ .

استدلالاً، والعمل قدر الإمكان على التوسع فيه ولملمة مفرداته وأجزائه ومكوناته اللفظية والمعنوية بأُسلوب من التعدد الجمْعي للنص القرآني، وصولاً به إلى تحقيق المقصد الأسمى والوظيفة الكبرى التي يحصل بها عملية الإنتاج الدلالي الصحيح، أو بمعنى آخر، معرفة الموقف القرآني النهائي من القضية المعنية كما يُعبِّرُ عنه القرضاوي بقوله: " بل ينبغي– لمن يُفسِّر القرآن– أن يتتبع اللفظ حيناً وأن يتتبع المعنى حيناً آخر ليعرف موقف القرآن من القضية التي تُعنيه" [١]، قال ذلك وهو يُنْكِرُ على الذين يأخذون الآية القرآنية الواحدة فيفسرونها ويتركون الآيات الأخرى ذات العلاقة.

وقضية انتشار الآيات القرآنية وكثرة توالدها ونموها في تفسير القرضاوي بخاصة، وتعاملاته القرآنية بعامة يرجع إلى ملكته القرآنية الفذَّة التي اتسمت بها شخصيته العلمية على مستوى الاستظهار، وعلى مستوى الفهم والتفسير وحسن الاستدلال.

يقول الأستاذ الفاضل عصام تليمَة في المعنى[٢]: " فالشيخ القرضاوي حين تسمعه يتكلم في أي موضوع تراه يصول ويجول، مستقرئًا المواضع التي ورد فيها الموضوع في القرآن الكريم، وتشعر وكأن القرآن كتاب مفتوح أمامه، يأخذ منه ما أراد من استشهاد، وربما أتى في الموضوع بآيات ما كان المستمع أو القارئ يظن أن هذه الآيات تصلح لهذا الموضوع " [٣] .

فإذا كان هذا الأمر يتحقق حين تسمعه، فكيف بكتاباته وتآليفه المباشرة حول كتاب الله العزيز ، خصوصًا في تفسيره القيم لسورة الرعد ، وموضوعي: الصبر، والعقل والعلم في القرآن الكريم ، وكلها من التفسير الأثري والتحليلي والموضوعي، وكتابه " كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟ " الجامع للتنظير والتطبيق ، وللتفسير وعلوم القرآن، وكثير من الموضوعات القرآنية والتفسيرية المنثورة داخل كتبه الفقهية والفكرية والدعوية، وفي الإسلاميات العامة، فقد تمثَّل هذه الظاهرة وأشبع كل تلك الدراسات بالآيات القرآنية، وأمطرها بالقرآن بغزارة مدهشة، مما انعكست على شخصيته التفسيرية ومنهجيته الأثرية وغيرها.

وليس أدل على هذا الانتشار القرآني الواسع – الذي نحن بصدده – بوجهٍ أخص وبتحديدٍ أدق من كتابه " تفسير سورة الرعد " حيث جعل من تفسير هذه السورة موسوعة تفسيرية قرآنية محكمة ، حتى لقد ذكر مُعِدُّ هذا الكتاب ومحققه الأستاذ الفاضل محمود عوض [٤] وهو يصف

---

(١) **تفسير سورة الرعد** ، ص ٢٢ .

(٢) عصام تليمة ، من تلامذة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي وهو من أقرب مساعديه، ومن المرافقين له في حله وترحاله، وله بعض الكتابات عنه منها حتى الآن: **القرضاوي فقيهًا** ، **ويوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء** ، وله مشروعات فكرية كثيرة حول القرضاوي.

(٣) **القرضاوي فقيهًا** ، عصام تليمة ، ص٤٧ .

(٤) محمود عوض ، من تلامذة القرضاوي والملازمين له في علومه ، وهو الذي تولى تفريغ هذه الدروس – **تفسير سورة الرعد** – ، وتحقيقها والتعليق عليها ، تحت إشراف ومراجعة وإجازة وتنقيح وإضافة

منهج القرضاوي في التفسير في مقدِّمته للكتاب ما يصلح دليلاً لهذه الظاهرة حيث قال: " ومن خلال هذه المعايشة تبين لي منهج الرجل الثابت في التعامل مع القرآن الكريم الذي يقوم على النظرة المعتدلة والشاملة، ويبتعد عن الإفراط والتفريط، ويربط الآيات بعضها ببعض، ويتتبع اللفظة في القرآن فيذكر معانيها، وهذا يلاحظه القارئ فيما يأتي من تفسير سورة الرعد، وقد أحصيت من خلال الهوامش الآيات التي استشهد بها الشيخ القرضاوي – في تفسيره لسورة الرعد فوجدتها تزيد عن ألف ومائة وستين آية بعضها مكرر وكثير منها غير مكرر فإذا علمنا أن عدد آيات سورة الرعد بضع وأربعون آية وأن القرآن كله ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية [١] تبيَّن لنا اهتمام مفسِّرنا بتفسير القرآن بالقرآن " [٢] .

وظاهرة كثرة النصوص القرآنية هذه عند الإمام القرضاوي وبهذه الصورة الملفتة؛ إنما هي في جملتها ترجع أولاً إلى الحقيقة القرآنية المنشودة، إلى المعنى نفسه، فوضوح المعنى أو عدم وضوحه وتحققه هو الذي يُحدِّدها سعة وضيقًا، أو كثرة وقلة.

ثم إن هذه النصوص القرآنية المتكاثرة والمتتابعة فيها دلالة بطريقة أو بأُخرى على منهجه التَّوَسُّعي الاستدلالي القرآني، الذي بالتالي يُفيد أنه على المفسر أن لا يقف في تفسير الآية أو القضية القرآنية الواحدة عند سقفٍ تفسيريٍ مُحَدَّد، أو عند مستوى معين وثابت في الفهم والتفسير والاستدلال، ما دام أن الآية القرآنية تتسع لإتمام المعنى من خلال الآيات القرآنية الأخرى المشابهة والمقابلة والمتممة والتي تزيدها قوة وتأكيدًا، فعند ذلك عليه أن لا يألو جهدًا في حشد وجمع ما أمكنه من الأدلة القرآنية وغيرها من الأدلة الشرعية الثابتة، وذلك في سبيل إيصال ما يهدف المفسر إلى تحقيقه ويريد إقراره وإثباته من المعاني، وهو منهج مفسِّرنا القرضاوي نفسه.

ثانيًا: وقفنا في البحث على المعالم والضوابط النقلية الأساسية المعتمدة في التفسير، ومختلف الأساليب والطرق المنهجية وأمثَلها وأصحها في تفسير القرآن بالقرآن، وتبين لنا بالدرس النظري والشرح العملي كيفية معالجة القرضاوي للقضايا والمعاني القرآنية بأساليب متعدِّدة، وهي غاية من الدِّقة والإحكام والإتقان، وذلك من حيث الفهم والاستنباط، والتفسير والاستدلال، والبحث العلمي الحديث. وسواء أكانت تلك الأساليب والطرق المنهجية معروفة مشهورة عند علماء التفسير ومناهجه، أو هي تلك التي استلهمناها واستقرأناها من الواقع التفسيري للقرضاوي.

ثالثًا: تبيَّنَ أن الإمام القرضاوي هو المفسِّر المنظر الملتزم، فقد وفَّى بما وعدنا به في الأساس النظري لمنهجه في تفسير القرآن بالقرآن، من دعوته إلى عدم تجاوز هذه الخطوة

القرضاوي نفسه ، راجع : مقدمة كتاب **تفسير سورة الرعـد** ، ص٢– ٨ ، ١١– ١٢ ، ونأمل أن يفعل مثل ذلك في جمع وإعداد دروس في التفسير – **تفسير سورة إبراهيم** ، **تفسير سورة الحجر** وهكذا.

(١) راجع : **الإتقان في علوم القرآن** ، السيوطي :١/١٨٨ ، **والبرهان في علوم القرآن** ، الزركشي :١/٢٤٩ ، **وأبجد العلوم** ، صديق خان :٢/٥٠٠ .

(٢) **تفسير سورة الرعد** ، القرضاوي ، ص٧ . من المقدمة .

المُثْلى، والقاعدة النقلية الأولى إلى غيرها من المصادر والطرق التفسيرية الأخرى، وما ضمَّنها من الخطوات الفرعية إلا بعد استنفاذه الأساليب والطرق في التعامل مع القرآن بالقرآن الكريم نفسه، الأمر الذي رأيناه واضحًا بيِّنًا في التطبيق والتفصيل العملي في كل الفقرات والنقاط المتعددة في المباحث المعنية من هذا البحث، وعليه فإن مفسِّرنا القرضاوي قد أتى – في نظري – بمنهج تفسير القرآن بالقرآن على أكمل وجه وأتمه، بعد الإمام الحافظ ابن كثير حتى الآن. ناهيك عن الدراسات والاستنباطات الجديدة في المنهج والأسلوب، وفي الإضافات العلمية المتميزة، على مستوى المضمون التفسيري أو الاستدلالي .

رابعًا: لقد جاءت دراستنا لمنهج وتعامل الإمام القرضاوي في تفسير القرآن بالقرآن على ذلك النمط وبتلك الصورة والشكل من التفصيل والتبيين؛ لأن تعامل القرضاوي مع كتاب الله فهماً وتفسيراً واستدلالاً في كتبه عامة، وما كتبه في ضوء القرآن والسنة من جهة، وما كتبه في التفسير والدراسات القرآنية الموضوعية خاصة من جهة أخرى إنما كان تعامله واعتماده في الجميع– أولاً وقبل كل شيء – على القرآن الكريم، فلا نجده في جانب الاستدلال العام يتجاوز القرآن وتفسير آياته وتوجيه معانيه إلا عند عدم وجود النَّص المباشر في القرآن ليستدل به، عند ذلك يمكنه الانتقال إلى السنة النبوية المطهرة، أو المصادر الأخرى.

خامسًا : إن في الاستفادة التفسيرية التي استقاها الإمام القرضاوي من الآيات القرآنية وقضايا علوم القرآن في تفسيره على الوجه الذي رأينا توسيعًا منه للمنهج التفسيري ذاته، وليس ذلك فحسب، بل وتحقيقًا منه للمنظومة التفسيرية التكاملية، وتأكيدًا منه على وحدة الآيات القرآنية على اختلاف أماكنها وأزمنة نزولها وأسبابها وملابسات نشأتها، فقد استفاد منها على مستواها الأفقي وصولاً منه لوحدة النص القرآني في مستواه الرأسي ربطًا بالوحي الإلهي. وهو ما رأيناه في الإلحاح النظري والتطبيق العملي له في اعتماده كثيرًا – إضافة إلى تلك المعالم والضوابط– على قضايا علوم القرآن والاستقراء والتتبع للمعاني والموضوعات القرآنية في منهجه التفسيري الأثري، من مثل أسباب النزول، والمكي والمدني، وأول وآخر ما نزل من القرآن، والقراءات القرآنية ، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من العلوم القرآنية والتفسيرية المتعددة.

وبشكل أخص أقول: إن مكانة المفسِّر تبرز للعيان يوم يستطيع الاستخلاص والتوظيف السليم والتوجيه لما بين يديه من العلوم، بل الاستفادة من تلك العلوم التي ربما قد نُظِرَ إليها بأنها جامدة وصعبة بحيث لا يستطيع المتعامل معها أن يأتي منها بالجديد، لذلك أحجم البعض عن تناولها وعزف البعض الآخر عن دراستها، ومن هذه العلوم – فيما نرى – علم القراءات رواية وخصوصاً دراية. ومن خلال نظرات هذا العالم الجليل في بعض القراءات والأحكام التجويدية كالوقف وغيره مما عرضناه وما لم نعرضه، رأينا القدرة الفائقة والعقلية الفذَّة في استطاعته أن يجعل من هذه العلوم مدرسة للفكر والثقافة والدعوة. ومدرسة لتربية الأجيال وجمع الأمة.

أضف إلى ذلك أن القراءات القرآنية لم تكن في نظر الإمام القرضاوي مجرد أحرف تُقرأ، أو قراءات تتعدد في اللفظ القرآني الواحد فيتغير هذا التفسير أو ذلك المعنى والفهم فحسب، بل إن القضية لها أبعاد أخرى وفلسفات تظهر للقارئ المتمعن، والمُقرئ اللبيب، بالإضافة إلى تلك المعاني الظاهرة والمباشرة، فهي في الأساس الرسالة الدينية الواضحة بالرحمة الإلهية، والإذن الإسلامي الصريح بالاختلاف المشروع في الفروع، والتأصيل الصحيح لطبيعة الدين وسعة أُفقه.

سادسًا : تميَّز تَعامُل الإمام القرضاوي مع القرآن في ضوء القرآن ، بالانسجام والترابط، وقوة الالتزام الإيجابي بين الجانبين: النظري والتطبيقي، وهي ظاهرة مطَّردة في كتاباته على رغم طول الزمن في الإنتاج العلمي، وتعدد المجالات والاهتمامات في التأليف، وكثرة التعامل التفسيري مع القرآن الكريم، والاستدلال المتكرر من آياته، والاستنباط المتجدد من معانيه، فما هو إلا الاستقرار والثبات على المنهج الذي رسمه لنفسه، والتطبيق الفعلي له ، **وهو الأمر** الذي يؤكد لنا بأنه المفسِّر الذي ينطلق فيما يكتب ويؤلف من أصل معرفي ثابت وراسخ في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، ومن هدف سام عريق، ومرجعية عليا في بث الروح الإسلامية، ذلك الأصل أو الهدف هو خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة، وخدمة هذه الأمة بهما، ومن ثم إنزال نصوصهما على الواقع الإسلامي بأَفْقَهِ وأوفَق تنزيل، وبأحسن وأصدق استدلال. انتهى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيًا : قائمة الكتب :

١_ **الإتقان في علوم القرآن،** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ‹ ت ٩١١هـ ›، تحقيق محمد شريف سُكَّر ومصطفى القصَّاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ومكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢_ **الإسلام وحضارة الغد،** يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٣_ **الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه،** يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٤_ **أعداء الحل الإسلامي** ، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٠م .

٥_ **الأقليات الدينية والحل الإسلامي**، يوسف القرضاوي، دار الفرقـان، عمَّـان الأردن، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٦_ **الإيمان بالقدر**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧_ **الإيمان والحياة**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩، ١٩٩٨م.

٨_ **البرهان في علوم القـرآن**، برهان الدين الزركشي ‹ ت ٧٩٤ هـ ›، تحقيق: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٩_ **التطرف العلماني في مواجهة الإسلام**، يوسف القرضـاوي، أندلـسية للنـشر والتوزيـع، المنصورة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٠_ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمـشقي ‹ ت ٧٧٤ﻫ ›. دار الفكـر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١١_ **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي ‹ ت ١٣٩٧ﻫ ›. مكتبة وهبة، القـاهرة، ط٦، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٢_ **التوبة إلى الله**[١]، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٣_ **التوكل** [٢] ، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٤_ **تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة ‹ نحو فقه ميسر معاصر – في أصول الفقه الميسر – في فقه العلم** › يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القـاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٥_ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن فرح القرطبي‹ ت ٦٧١هـ ›. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.

١٦_ **جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبـة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٧_ **حجة القراءات**، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٨_ **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه‹ ت ٣٧٠هـ ›. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

١٩_ **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، يوسف القرضـاوي، مكتبـة، وهبـة، القـاهرة، ط٥، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢٠_ **الحلال والحرام في الإسلام**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٣، ١٩٩٩م.

(١) الكتاب الرابع من سلسلة **تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة.**

(٢) الكتاب الثالث من سلسلة **تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة.**

٢١_ **الحياة الربانية والعلم** [١]، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٢٢_ **الخصائص العامة للإسلام**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٢٣_ **خطب الشيخ القرضاوي**، يوسف القرضاوي، إعداد خالد السَّعدْ،‹ الجزء الثالث › مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢٤_ **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل**، محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، السعودية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٢٥_ **دروس في التفسير – تفسير سورة الرعد**، يوسف القرضاوي، إعداد وتعليق: محمود عوض، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

٢٦_ **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية**، تحقيق محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت،ط٢، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

٢٧_ **الرسول والعلم**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

٢٨_ **رعاية البيئة في شريعة الإسلام**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

٢٩_ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود الألوسي‹ ت١٢٧٠هـ ›. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ‹ د.ت ›.

٣٠_ **سنن ابن ماجة**، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني‹ ت ٢٧٥هـ ›. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ‹ د.ت ›.

٣١_ **السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٣٢_ **السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٣_ **شمول الإسلام**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣٤_ **الصبر في القرآن الكريم**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٥_ **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم** ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٣٦_ **الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

---

(١) الكتاب الأول من سلسلة **تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة.**

٣٧_ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ– ١٩٩٧م.

٣٨_ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

٣٩_ **العقل والعلم في القرآن الكريم**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهر، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٤٠_ **فتاوى معاصرة** " **الجزء الأول** " يوسف القرضاوي، دار القلم الكويت، ط٨، ٢٠٠٠م.

٤١_ **فتاوى معاصرة** " **الجزء الثاني** " يوسف القرضاوي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٣، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٤٢_ **فتاوى معاصرة** " **الجزء الثالث** "، يوسف القرضاوي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٤٣– **فقه الزكاة _ دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢٤، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٤٤_ **فقه الصيام** [١]، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤٥_ **فقه الطهارة** [٢]، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٤٦_ **فوائد البنوك هي الربا الحرام – دراسة فقهية في ضوء القرآن والسنة والواقع**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٤٧_ **في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٨_ **القدس قضية كل مسلم**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.

٤٩_ **القرضاوي فقيهًا**، عصام تليمة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥٠_ **كتاب السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أبو بكر البغدادي (ت ٣٢٤هـ). تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٥١_ **كيف نتعامل مع السنة النبوية؟**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٥٢_ **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.

٥٣_ **لماذا الإسلام؟**، يوسف القرضاوي، دار الوفاء، المنصورة، ودار الصحوة، القاهرة، بمصر، ط٤ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

---

(١) من سلسلة **تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة** .

(٢) من سلسلة **تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة** .

٥٤_ **المبشرات بانتصار الإسلام**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
٥٥_ **مدخل لدراسة السنة النبوية**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٥٦_ **مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٥٧_ **مدخل لمعرفة الإسلام**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
٥٨_ **مسند أحمد**، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ‹ ت ٢٤١هـ ›. مؤسسة قرطبة، مصر، ‹ د.ت ›.
٥٩_ **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٦٠_ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** – بحاشية المصحف الشريف، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
٦١_ **ملامح المجتمع الإسلامي الذي ننشده**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٦٢_ **من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا**، يوسف القرضاوي، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، ط٤، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٦٣_ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني‹ ت١٣٦٧↑ ›. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٦٤_ **من فقه الدولة في الإسلام**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.
٦٥_ **الموافقات في أصول الشريعة**، إبراهيم بن موسى الشاطبي ‹ ت ٧٩٠هـ ›. تحقيق: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥↑ – ١٩٧٥م.
٦٦_ **موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٦٧_ **النية والإخلاص** [1]، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٦٨_ **منهج يوسف القرضاوي في التفسير وعلوم القرآن– دراسة في النظرية والتطبيق**، رسالة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، صادرة من قسم اللغة العربية (شعبة الدراسات الإسلامية) كلية الآداب – جامعة أسيوط، جمهورية مصر العربية (١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م) للباحث ذاته / **عبد الواسع عبده هِزَبْر خالد المِخْلافي**، كلية الآداب – جامعة

---

(١) الكتاب الثاني من سلسلة **تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة** .

تعز – الجمهورية اليمنية " **رسالة علمية غير منشورة** تقع في (٨٧٠ صفحة) " ، وهي أساس هذا البحث ، وهو مستلهم منها وبتصرف .

الفهرس الموضوعي للبحث